

اطلع

من

نافوخي

أحمد الحداد

اسم الكتاب : اطلع من نافوخي
التأليف : أحمد الحداد
تصميم الغلاف : خالد سمير
إخراج فني : عمرو وسالم سواج
رقم الإيداع : 2019 / 27950
الترقيم الدولي : 978-977-835-184-2

صادر عن

زحمة كتاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق - مول المريبلاند - مصر الجديدة - القاهرة - مصر

Facebook : دار زحمة كتاب للنشر

Email : za7ma-kotab@hotmail.com

Tel : 002 01205100596

Tel : 002 01100662595



جميع

الحقوق محفوظة للناس

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة
بأي شكل من الأشكال
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

كل الحقوق
محفوظة

قبل أن تبدأ في قراءة هذا الكتاب

اذكر خمس شخصيات تود أن تقول لكل منهم

"اطلع من نافوخي"

..... ١-

..... ٢-

..... ٣-

..... ٤-

..... ٥-

احتفظ بهم ثم أعد كتابتهم مرةً أخرى بعد أن تنهي القراءة
ولاحظ إن كنت ستغير بعض الشخصيات أم سيظلون كما هم.

- (الفصل الأول) -

حكايات من الكُشْك

حمادة بتاع التليفونات

من الجميل أن قدر الله لي أن أعمل لبضع سنوات بشركة ذات اسم مرموق بمجال الأجهزة الإلكترونية والهواتف المحمولة. والأجمل أن شاءت الأقدار أن يكون مكان عملي لفترة ليست بالقليلة في حديقة الشركة (سامع واحد يسأل جنابني يعني؟) لا والله يا سيدي مش جنابني وإنما مسؤول مبيعات في محل صغير جداً مخصص لبيع منتجات الشركة للموظفين.

لن أخفي عليكم سرّاً أنني نُقِلت إلى هذا المكان تعنتاً من أحد المديرين بعد أن كنت مسؤولاً عن أحد أكبر فروع الشركة، ذلك لأنني لم أكن لقمة سائغة بحلقه ومبزلهوش من زور، فلم أكن أجيد تقبيل الأيدي بالإضافة لظروف يعلمها الله وليس هذا بموضع لشرحها ونقاشها، وعليه فقد كان قرار نقلي لهذا المنفى بمبدأ "يندفن هنا لحد ما يتنسي".

ولأن الله يقطع من هنا ويوصل من هنا، ولأنني قد نظرت لنص الكوباية المليان بعدما نزعت النظارة السوداء من فوق عيوني العسلية، فقد لاحظت عكس كل من سبقوني أن هذا المتجر الصغير يحتل بقعة سحرية في الشركة، فهو يتيح لي رؤية الغالبية العظمى من

العاملين بل والتعامل معهم يومياً مما أتاح لي فرصاً ذهبيةً للتعرف عليهم أثناء عمليات البيع والذي أثمر عن العديد من الصداقات. هذا بالإضافة إلى أنه أتاح لي ميزة المتابعة عن بُعد، فتعلمت كيف تكون لغة الجسد لدى - البيزنس مان- وطريقة الوقوف والمناقشة والمحاور ولغة العيون في إبداء الرأي وإنهاء التعاقدات وبناء علاقات البيزنس منذ بدأ تكوينها.

كما رأيت من العاملين من يقتنص من يومه عشر دقائق لاحتساء أي مشروب حتى يستطيع متابعة جبال العمل التي يحملها بأمانة على كتفيه، وآخرين يقضون يومهم في الأحاديث في ما ليس له قيمة وإلقاء النكات والعلو في الضحكات وطبعاً النيمة على خلق الله وأقصى مدة للعمل هي ساعة وكأن كافتيريا الشركة هي مقر عملهم الأساسي.

وبالرغم من أن عملي هذا لم يكن بالعمل المريح كما هو الحال في معظم الوظائف ببلدنا الحبيب ولكنه أتاح لي تعلم الكثير في كل مرة كنت أتحدث فيها مع الزملاء وذلك لاختلاف مستوياتهم ومراكزهم بالشركة واختلاف ثقافتهم وطبيعة نشاطهم أيضاً.

تعاملت بحب مع الجميع، وقررت أن أعمل بكل جهدي وأترك الباقي على العليم الرزاق، فاحتلت ثقةً كبيرةً في قلوب الكثير من

قيادات الشركة، وكان كل هذا سبباً في ترشيحي بعد ذلك لأتولى مركزاً مرموقاً جداً.

كانت تسعدني المسميات التي كانوا يطلقونها عليّ أو ينادونني بها، ففهم من يقول عني ال Sales man الي في ال Booth ومنهم من يناديني أستاذ أحمد .. أبو حميد .. يا نجم .. يا شاعر وغيرها من الألقاب.

ولكنني لن أنسى أبداً الزميلة التي قالت في هاتفها المحمول لصديقتها بصوت مسموع للجميع وبتلقائية تحسد عليها { أيوه يا حبيبتى .. أنا مستنياكي عند أحمد بتاع الكُشك . يا بنتي عند حمادة بتاع التليفونات }.

من هذا الكُشك علم الكثير من الزملاء موهبتي بالشعر، أحبوا كلماتي وكانوا ينصتون لي ويشجعونني أيما تشجيع، ليأتمني مسؤول عن مجلة الشركة ويطلب مني أن أكتب مقالاً ينشر على صفحاتها، فخرجت للنور أول مقالة بقلبي وقد أثارت إعجاب كل من قرأها ويكفي أن أقول لك عزيزي القارئ أنها كانت بعنوان: (أحمد بتاع الكُشك) .. نعم هي نفس تلك السطور التي بين يديك الآن التي تختلف اختلافاً يسيراً نظراً لاختلاف الزمان واختلاف القارئ.

تعلمت من هذا الكشك أن العبرة ليست بالأماكن ولا بمظهرها، تعلمت أن رزق الله قد يأتيك من باب كنت تحسبه موصوداً لا يفتح، تعلمت أن أنسب رد على التعت في العمل هو إتقان العمل، تعلمت من الكشك أن أي موضع يقدره الله لك هو موضع خير لا محاله، قد يكون مخفياً عن ناظريك داخل خزانة الفرج الإلهية والتي يمكن أن تجدها بمجرد أن تشعل كشاف اسمه الإتقان (فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)، ومفتاح تلك الخزانة هو أشهر أنواع المفاتيح في التاريخ ألا وهو الصبر (فالصبر مفتاح الفرج).

رأيت داخل هذا الكشك التفسير العملي لقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، فقول الله مكاناً كان معداً كمقبرة إلى منبرٍ انطلقت من فوقه إلى النجاح.

وبالرغم من أنني ال Sales man بتاع ال Booth وأنا أيضاً وبلا نخر (حمادة بتاع التليفونات) إلا أن أكثر ما كان يسعدني هي ابتسامة الرضا التي كنت أحظى بها من أي منهم أثناء تعاملهم معي أو مناقشتهم لي في مقالاتي وأشعاري وكلمات التشجيع التي طالما أغدقوا عليّ بها.

فتلك الابتسامة هي التي أعانتني على تحمل المصاعب والتغلب عليها، تلك الابتسامة التي شجعتني أن أستمّر في كتاباتي وأشعاري، تلك الابتسامة كانت سبباً كبيراً في أن يكون هذا الكتاب بين يديك الآن عزيزي القارئ، الابتسامة التي هي نعمة كبيرة أتمنى أن تكون ابتسامة حب في الله وأن أكون من الذين أحبهم ربهم فحب فيهم خلقه.

لكل من شجعني يوماً بابتسامته الصادقة
أهديك هذا الكتاب

أحمد الحداد

أنا لست "روبوت"

عند الدخول على الكثير من المواقع الإلكترونية الآن فإنه من شروط المرور أن تقوم بعمل (mark) على رسالة تظهر لك مكتوب بها تلك العبارة "أنا لست روبوت"



كم تمنيت أن تكون تلك الرسالة من شروط دخول كل موظف خدمة عملاء وكول سنتر إلى مقر عمله، فلا يحق لأحد منهم أن يجلس على مكتبه ولا أن يبدأ شغله إلا بعد عمل توقيع يومي على تلك الرسالة وأن يقسم ١٠٠ يمين على أنه من بني آدم وأنه لحم ودم مثلنا وليس بـ "روبوت".

لا أعرف من هذا العبقرى الذي قرر أن تكون اللهجة الرسمية لموظف خدمة العملاء سواء في التعامل المباشر أو من خلال الهواتف في (الكول سنتر) على هذا النحو من البرود في التعامل مع الزبائن.

لماذا يصرون أن يشعرونا أنهم ليسوا مثلنا من بني البشر، وأن أفضل طرق التواصل مع الزبون هو ارتداء الوش الخشب وأن يرسم على شفثيه ابتسامةً صفراء باهتً لونها تستفز الناظرين.

من المفترض أن يكون موظف خدمة العملاء هو حلقة الوصل ما بين العميل والشركة، لذا فإنه يجب أن تكون العلاقة فيما بينهما هي علاقة يسودها الثقة ومغلقة بالود والاحترام المتبادل، فالعميل يجب أن يعرف أن هذا الموظف هو أسرع الطرق وأسهلها لتوصيل شكواه إلى المسؤولين بالشركة وجلب حقوقه كاملة.

بينما على موظف خدمة العملاء أن يكون على علم بأنه قد اختير لهذا المنصب ليكون في خدمة زبائن الشركة الكرام.

أعلم أن موظف خدمة العملاء مطالب بمقابلة أكبر عدد من الزبائن وسماع شكواهم الرتيبة والمتكررة وحل مشاكلهم في أقل وقت ممكن ف (تارجتك يا أستاذ إنك تخلص على ١٥٠ راس في اليوم) أو على قول مدير آخر (العميل ما ياخذش منك أكثر من ٥ دقائق وبعدين تقلبه).

هكذا المبدأ، لذا فاعلم عزيزي العميل أنك غير مرحب بك إذا كنت تظن نفسك داخل عيادة للطب النفسي لتتحدث عن طفولتك وخناقاتك المستمرة مع المدام وحماكتك المصون، فقط قل شكواك في عجلة وارحل في سلام.

واعلم أيضاً عزيزي خادماً العملاء أن الكثير من الزبائن مملون إلى حد كبير ومشاغبون أيضاً. فمنهم من يعتقدون أن حقهم لن يأتي إلا بالصوت العالي منذ البداية (خدوهم بالصوت ليغلبوكوا) ومهما كان مخطئاً؛ وانحطاً راكمه من ساسه لراسه فلا ضير من بعض المقاومة والمشغبة واللف والدوران لأن (الزبون دائماً على حق) حتى ولو كان مخطئاً. ومنهم المتوتر بشدة ويشعر أن مشكلته التافهة هي مسألة حياة أو موت وأنه الوحيد في هذا العالم الذي يعاني تلك المشكلة. هذا بالإضافة للعميل الجاهل والذي لا يعترف بجهله بالأشياء "فيعمل ناصح" ويبدأ الفتاوى والفتاوى.

أتذكر يوماً جاء عميل لكي يستلم هاتفه المحمول بعد أن تم إصلاحه، فسأل زميلنا: "هو كان فيه إيه؟"

- كان محتاج سوفت وير بس يا فندم، وإحنا غيرناه خلاص.
- طب لو سمحت كنت عايز السوفت وير القديم.
- يا فندم دا سوفت وير ... البرنامج يعني.
- طب كنت محتاجه بس علشان بحب أحفظ بالقطع القديمة.
- لم يجد زميلنا حلاً سوى أن أشار إلى جملة مكتوبة على ظهر إيصال الاستلام مكتوب عليها "القطع المستبدلة لا ترد للعميل نظراً للتخلص منها بطريقة آمنة لا تضر البيئة" .. فأشار العميل تفهمه

وتأسف على عدم قراءة التعليمات وقرر أخيراً أن يترك لنا السوفت وير القديم علشان نعدمه.

وهناك عميل آخر قد تبهرك اهتماماته مثل ذلك العميل الذي اقتحم علينا الفرع وهو يصرخ بكل انفعال "القرد ماييتنطتش .. القرد ماييتنطتش"، بالطبع اعتقدنا أننا أمام الجزء الثاني من فيلم جري الوحوش للفنان محمود عبد العزيز، ولكن سرعان ما اكتشفنا أن العميل يواجه مشكله حقيقية، فإن لعبة القرد الذي يقفز فوق بعض البلاطات المتحركة يأتي إلى مستوى معين ولا يستجيب للأضرار ولا يقفز وبالتالي يسقط وتنتهي اللعبة ويخسر العميل هذا "الإسكور" العظيم الذي حققه. طب بدمتك ترضاها أنت على نفسك ولا على حد من اخواتك يا كبتشين!!؟

صحيح أنه خطأ صغير وتافه في (السوفت وير) جعل القرد ماييتنطتش ولكنه في نفس الوقت جعل العميل يتنطط وعفاريت الدنيا تنطط في وشه فجاء إلى الفرع وبدأ يتنطط علينا وعلى اللي خلفونا.

ولكن وبالرغم من كل ما سبق ذكره يظل السؤال مطروحاً .. هل تلك الطريقة الروبوتية في الحديث التي لا روح فيها هي بالفعل أفضل الطرق في معاملة الزبائن؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل دعني أولاً أحكي لك قصتين حقيقتين قد وقعتا في الماضي القريب.

١ - (غسالة العريس)

يملاً صفحة الشركة على الفيس بوك بكومنتات مليئة بالسباب والشتائم، يتهمم بالتجاهل وعدم احترام العميل، بدأ في كسب تعاطف المارين على البوستات الدعائية فبدأوا مؤازرته في محنته. الجميع يرى أن لديه حق، فهو عريس جديد اكتشف عطلاً بغسالته (القول أوتوماتيك) يوم صباحيته، تلك الغسالة التي اشتراها مسبقاً من (الويب سايت) الخاص بتلك الشركة العريقة لتحتل مكانها المرموق في قائمة العروسة، اتصل كثيراً بالوكيل وبعد ثلاثة أيام من المحاولات يتم الرد من خدمة العملاء مؤكداً له أنه ما زال في خلال فترة الـ ١٤ يوماً من تاريخ الشراء وعليه فإنه من حقه التبديل من الموزع لا من الوكيل، مر أكثر من ٣ أيام أخرى مع خدمة عملاء الشركة التي اشترى منها دون حل سريع والعروسان ينهيان أسبوعهما الأول بدون غسيل (ولك أن تتخيل).

وصلت الكومنتات المتتالية لدى المسؤول عن هذا الموقع الإلكتروني والذي طلب من موظفيه أن يتصلوا بالعميل ومعرفة أبعاد المشكلة، ذلك الطلب الذي قوبل بالرفض من جميع موظفيه

والسبب كان درجة الانفعال التي وصل إليها العميل حتى أن أحدهم قال: "العميل عمال يسب ويلعن وأنا لسا هتصل أقوله خير يا فندم .. دا هيقول لي أبو الفندم على أم الفندم وهيسبلي بكل اللغات".
قرر المسؤول عن الموقع الاتصال بالعميل بنفسه أمام موظفيه.

- السلام عليكم يا عريس.

-

- أنا مدير الويب سايت اللي حضرتك عمال تطرقعه م الصبح على الفيس.

-

- هههههههههه، لا طبعاً يا عريس ما يرضيناش.

-

- فاهم طبعاً ... وطبعاً راحتك تهمنا يا عريس والتوتر مش حلو دلوقتي خالص.

-

- هههههههههه لا لا ولا يهكم .. النهارده الغسالة هتتغير ومعاها

هدية صغيرة كده، بس دا علشان انت غالي عندنا.

-

- صحیح یا عریس .. ما تنساش بقى تقول للناس إن الراجل اللي أنت بتشتمه من الصبح خاف منك واتصل يصالحك وهو بيرتعش من الخوف ... أنا بترعش أهوه يا عریس.

ثم فتح الاسبيكر لیسمع الجميع صوت العمیل

- "يا فندم أنت أحسن مدير في الدنيا وهتشوف أحلى كومنتات دلوقتي وأنا اللي آسف وحقك على راسي".

انتهت المكالمة بنظرة اندهاش من الجميع، ولم يقطع الصمت سوى سؤال واحد فقط أطلقه أحد العاملين والذي رفض سابقاً الاتصال بالعمیل "عملتها ازاى دي يا!!؟".

(مكان النقط مش شتيمه خالص دا اسم المسؤول)

** قبلها بحوالي ٥ سنوات

٢- (الركن الحنين)

في أحد الأيام تعالت الأصوات داخل الفرع المخصص للشكاوى من عميلة ترى أن لديها حق مهدور، ثائرة بشكل غير عادي ولم يجد معها تعامل الزملاء واحداً تلو الآخر فما استطاع أحد أن يهدئ من ثورتها، طلب مدير الفرع أن يستقبلها بمكتبه، وما مرت دقائق قليلة حتى عادت الثورة مرةً أخرى وزاد طوفان الغضب وتعالى صياح العميلة مختلطاً بالشتائم بطريقة خرجت عن حدود الشياكة التي تدل

عليها ملابسها، وأصول اللباقة التي تشع بها ملامحها وانهاالت الاتهامات بالنصب والاحتيال على كل من بالفرع مما اضطر الزملاء لرفع صوتهم تجاهها والتعامل معها بحدة وكادت تشتعل الأمور وتصل إلى التشابك بالأيدي.

وقتها همس رجل الأمن للمدير وقد أشار بنخب على آخر (بريتشن) بالمكان حيث يقطن الموظف الوحيد الذي لم يتعامل مع تلك الثائرة وظل يتعامل مع باقي العملاء المنتظرين دورهم في هدوء وقال:

- "وديتها للركن الحنين يا باشا".

- يعني كلنا مش قادرين عليها وهو الفتك اللي هنا يعني؟

- يا باشا بقولك دا الركن الحنين، استنى بس وأنا هتصرف.

قام موظف الأمن بتوجيه العميلة إلى هذا الموظف ثم بعد مرور أقل من عشر دقائق فوجئ الجميع بمغادرة العميلة للمكان وهي تتأسف على ثورتها وابتسامتها تملأ وجهها.

وسط تعجب الزملاء بالفرع مما حدث، مر رجل الأمن منتشياً من أمام مدير الفرع قائلاً:

- "مش قولتلكوا مافيش غير الركن الحنين اللي هيخلص".

- وعرفت ازاى يا ناصح!؟

- يا باشا دا بيعمل للعميل تتويم مغناطيسي، العميل يجيله
بيقول يا شر اشتر وبيطلع من عنده وهو عايز ياخدنا بالحضن.
 - صاح المدير: أستاذ (.....) لو سمحت تعالني ع المكتب.
 - نعم يا مدير.
 - أنت عملت إيه مع العميلة دي؟
 - عملت معاها زي ما عملت مع غيرها، سمعتها كويس
وشرحت لها الموقف وتفهمت الموضوع وخلاص.
 - طب ما كلنا عملنا كدا معاها ومع أمثالها، إيه الجديد؟
 - دا سر المهنة بقا يا مدير.
 - إوعى تكون بتوعدهم بالجوازي
- عيب، دا فيه منهم رجالة وأنا ما ليش في الرجالة يا مدير
- هههههههه

(برضه مكان النقط مش شتيمة دا اسم الموظف)

الآن عزيزي القارئ وبعد أن انتهيت من القصتين يمكنك أن
تعود وتخط مكان النقاط في القصتين كلمة حداد .. (دا لو الكتاب
بتاعك طبعا).

نعم عزيزي القارئ .. هذا المسؤول وذاك الموظف في القصتين
هو نفس كاتب تلك السطور التي تقرأها الآن.

لقد عملت من قبل في مجال خدمة العملاء لمدة ليست بالقليلة تجاوزت ثمانية أعوام داخل شركة من الشركات الرائدة في مجال الإليكترونيات والمحمول في مصر، فن خلال تجربتي واحتكاكي بهذا المجال لكل تلك السنوات لم أشعر يوماً بالراحة مع هذا الريتم الإليكتروني في الكلام مع العملاء، فالعميل دوماً يجب أن يشعر أنك تشعر به وبمعاناته، وهو ما لا يجده مع ذلك الوجه البلاستيكي لموظفي خدمة العملاء والمغطى بابتسامة لا طعم لها ولا في طريقة الحديث الروبوتية التي لا تتم عن أي تفهم لأوجاع العميل.

العميل مثل المريض يشعر دائماً أنه الوحيد في العالم الذي يصاب بهذا المرض، بينما موظف خدمة العملاء مثل الدكتور، تكرر الشكاوى على مسامعه مئات المرات وبدوره يحدد المشكلة من أول كلمتين فيقاطع العميل وينهي الحديث لأنه لا داعي لتضييع الوقت فقد علمت شكواك.

هنا يشعر العميل بالإهانة والتقصير في حقه فهو يريد أن يشكو جرحه وآلامه من ذلك الجهاز الذي تعطل فجأة وقد كان (صاحي وبيلعب) كما يقول بائعو السمك، كما أنه يحتاج أن يشعر أن من يشكو له يعيش نفس حالاته ويشعر بنفس آلامه.

لذا عزيزي الموظف اترك للعميل مساحة للتحدث والتعبير عما بداخله ولا تقاطعه حتى لا يغضب. (وهو ما فعلته مع القصة الثانية مع العميلة الثائرة ولم يفهم مديري معنى كلمتي "سمعتها كويس" مش سمعتها وخلاص) لذا تحدث مع عميلك بلغته وبلهجته حتى تكسب ودّه (وهو ما قمت بعمله مع العميل في القصة الأولى) ذلك العريس الذي كان قد مل من سماع الجمل المتكررة مثل (أهلاً بحضرتك يا فندم .. لحظات معاً نراجع بعض البيانات .. لحظات معاً ع الويتنج أحوالك للقسم المختص) وبالطبع تلك اللحظات ع الويتنج تستمر لنصف ساعة وأكثر وكأن موظف هذا القسم المختص موجود في كوكب زحل وليس ع الكمبيوتر اللي جنبه.

والآن عزيزي القارئ (سواء كنت عميلاً غلباناً أو موظفاً هلكاناً) هل أدلك على سر إن فعلته كسبت تعاطف من أمامك ويسرت عليه وعلى نفسك طريقاً طويلاً ومشاحنات نحن في غنى عنها؟

ذات يوم جاءني شيخٌ كبير في السن كان قد سلّم هاتفه المحمول بين يدي وقد أخذت أسجل بياناته وأنا بهذا الوجه والمعلم التي تعرفونها جيداً عن موظف خدمة العملاء، لم أكن أقصد إهائته ولكن التركيز في ملء البيانات مع السرعة المطلوبة جعلت ملامح وجهي متجمدة

حتى وأنا أسأل العميل عن شكواه، وإذا بالشيخ قد قطع الحوار وهو يدقق النظر بملاح وجهي قائلاً: "هو انت ما بتضحكش؟!".

تلقائياً نتيجة لغرابة السؤال ابتسمت من قلبي فاستطرد الشيخ:

- "الله ... وشك نور لما ضحكت .. ليه تحرم نفسك وتحرم

الناس من نعمة ربنا ادهالك ممكن تظمن بيها قلوبهم .. وشك

البشوش دا نعمة يا ابني وابتسامتك في وش الناس صدقة، ربنا

يجازيك بيها خير ويديمها عليك".

بالطبع شكرته جداً على نصيحته ومن تلك اللحظة بدأت أراجع

نفسي وأتساءل:

ما كل تلك النشوة التي تمتلئنا نحن الموظفين عندما نستفز

عملاءنا بابتسامتنا الحمقاء؟! لماذا نبتم في وجه العميل المكلوم وهو

يبتنطط ويتشقلب من فرط الغضب؟! ألم تكن السعادة وقت احتواء

العميل ومساعدته أطعم بكثير؟! ألم تكن دعواتهم لنا حافزاً مشجعاً

للاستمرار ومعالجاً روحانياً طارداً لكل التعب الذي نلاقه طوال

اليوم؟

يومها قررت أن أغير أسلوبى تماماً مع كل عملائي، منذ تلك

اللحظة وابتسامتي تستقبل كل عملائي (مش المزبس) وكأنهم

ضيوف بيتي الخاص، من يومها وابتسامتي تسبقني إليهم ولكنها

ابتسامة مختلفة عن تلك التي قد تعودت أن تراها هناك، فابتسامتي

كانت ابتسامةً حقيقةً من القلب وليست تلك الابتسامة الصفراء المستفزة.

اكتشفت مع التجربة أن الابتسامة (الحقيقية) لها تأثير السحر على العميل، فهي تسيطر على الغضب وتقلل من توتر العميل الذي كان على أهبة الاستعداد للاشتعال، فالعميل قد أتى وهو يعلم جيداً تلك العبارات الريبوتية التي سوف تُلقَى على مسامع سعادته مع عبارة (اطلع من نافوحي) التي تطل من عيني ذلك الوجه الممسوخ، لذا فإن ذبذبات الصراخ قد تحرك ساكناً في هذا البحر الميت.

ولكن عندما يجد العميل في استقباله روحاً حقيقية وابتسامة من القلب، فلا يجد مبرراً لتحفظه وتخوفه وينتهي الأمر. عجيب أمر الابتسامة، إن رسمتها لحبيبٍ شعر بالراحة، وإن رسمتها لغريبٍ شعر بالأنس، وإن رسمتها لعدوٍ شعر بالندم، وإن رسمتها لمن لا تعرفه أصبحت صدقةً لك وإن رسمتها لنفسك ازدادت قوةً وجمالاً في أعين الآخرين.

قال نبينا الكريم محمد (ﷺ) " إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق " [رواه مسلم]
ابتسموا ... أثابكم الله.

أنت مش زبالة يا سعيد

"يا نهار أسود! أنت اتجننت يا ابني! هو دا مشروع تعمله برضه! وأنا اللي كنت فكراه حمام مغربي وساونا والحاجات الغريبة اللي طالعة موضه دي وفي الآخر يطلع حمام بجدا!! طب لما اروح اخطبك وحماك يسألني ابنك بيشغل إيه يا حاجة أقوله إيه؟ أقوله عامل مشروع حمامات .. طب أقولك ما تخليه محل من بتوع كل حاجة بـ٢٠٥ وسميه حمام الثلاث".

أمي الحبيبة-٢٠٠٣

لماذا يستغرب الناس من مشروعى وحلم عمري، ولماذا يصبر كل من أقوم باستشارته على الزج بي تجاه مشروعات بعينها، فهذا أبي يريدني أن أفتح محل مأكولات لأن الناس مش هتبطل تأكل، وهذه أمي تريده محلاً للأدوات المنزلية لأن الناس مش هتبطل تطبخ، بينما خالتي تريده محل ملابس لأن الناس مش هتبطل تلبس، وأختي تصر أن الأفضل هو محلات الإكسسوار علشان البنات مش هتبطل هيافة، بينما جارنا العزيز يفضل أن يكون المحل سنترالاً لأن الناس مش هتبطل كلام، وصديق العمر يرى أن أفضل المشروعات هي الكافية أو القهوة لأن الناس مش هتبطل بطالة ولو اتعدل حال البلد وكل الناس اشتغلت فبكل تأكيد الأزواج مش هيبطلوا يطفشوا من وشوش مراتهم ويتلهوا ع القهوة أمام مباريات الطاولة الشيقة.

إذن الجميع برغم اختلاف أفكارهم إلا أنهم جميعاً اشتركوا في نفس المبدأ وبنوا آراءهم على نفس الأساس الذي انطلقت منه اقتراحاتهم ألا وهي مقولة "الناس مش هتبطل ت....".

إذن؛ ما دام نجاح أي مشروع قائماً على انطلاقه من هذه النقطة فلماذا كل هذا الاستغراب من مشروع الحمّات الذي أريده ما دام قادماً من نفس المدرسة ومبنياً على نفس الأساس لأنه وبكل تأكيد يرضه الناس مش هتبطل تعمل بيبي.

على الأقل مشروعى مباشر وواضح ولا يحمل أكثر من معنى مثل مشاريعهم، ما هو الناس مش هتبطل نكلم (على غيرها) ولا هتبطل تأكل (مقابل م اللي افكرناهم في ظهرك) ولا هتبطل تشرب (المر من كيعانها بسبب الروتين وطوايره) ولا هتبطل تلبس (أسافين من زمايلها في الشغل) - لكن في مشروعى بكل وضوح وبساطة الناس مش هتبطل تعمل بيبي وخلاص.

صدقني عزيزي القارئ الموضوع مش تافه ولا مضحك زي ما وصل لمخيلتك دلوقتي، دا مشروع مهم جداً وإنساني من الدرجة الأولى ويمس كرامة الإنسان بشكل كبير.

أي دولة تلك التي يمكن أن تدعي أنها دولة متقدمة وبول أبنائها يرسم التجاعيد على حوائط شوارعها وزوايا حاراتها؟

بالطبع أنت توافقي في الرأي وستحدثني عن الاشتزاز وعن تخلف هؤلاء الذين يفعلون ذلك في الشوارع بينما نتحفنا باقتراحك العبقري "ما يستنوا لحد لما يروحوا بدل ما يقرفونا".

إذا كنت متزوجاً وتعول فكم من مرة عزيزي القارئ استوقفت سيارتك بجانب الطريق ليقضي أطفالك حاجتهم بعد إعلانهم الثورة داخل السيارة وهتافهم في صرصور ودنك "بابي عايزين نعمل بيبي .. بابي عايزين نعمل بيبي" ذلك الهتاف وتلك المطالب المشروعة التي دائماً ما تأتي في غير وقتها، وكمن مرة عزيزتي القارئة طلبت من

من قدم خدمة للبشرية بل ويطلقون عليه أيضاً (الرجل الذي انقذ لندن من نفسها).

ذلك أن هذا الرجل كان من أهم إنجازاته إنشاء شبكة للصرف الصحي في وسط لندن كان لها دور أساسي في حماية المدينة من أوبئة الكوليرا. كان ذلك منذ أكثر من ١٥٠ سنة مضت، وهم الآن يحتفلون بتلك الشبكة العملاقة التي يعتبرونها أنها أنقذت لندن من عصرهم سموه (عصر التثانة) إلى عصر التقدم وأصبحت مزاراً سياحياً ليرى الناس كيف تغلبوا على المرض والتخلف بهذه الشبكة العملاقة عن طريق هذا المهندس العظيم بل وأصبح جزءاً يدرس في المناهج هناك.

ونحن أصحاب الحضارات العظام ما زال لدينا قرى تعيش في مستنقعات المجاري ولا يوجد أي نظام صرف بل هناك من تختلط مياه الشرب بها أيضاً ولا تحدثني عن أعداد المرضى بالفشل الكلوي والكبد (العدد في الليمون).

منذ ١٥٠ عاماً ولندن تفتخر بنظام الصرف الصحي لديها ولازلنا هنا نغرق في شبر مية مع كل شوية مطرة، فلا نظام ولا صرف ولا صحة. بل إننا لا نملك كبائن الستر لمن يقضون الحاجة حتى وإن كانت لا مؤاخذه على طرشات.

أي كرامة تلك وأي تقدم نبحت عنه ونحن نترك مرضى السكر (شفاهم الله) يتعرضون لأقصى الإحراج وهم يبولون على أنفسهم في الشوارع بعد أن غلبتهم الحاجة، أي تقدم هذا بينما تجد سيدة في عمر والدتك تخفي نفسها مضطربةً بين السيارات المركونة لكي تقضي حاجتها لأنها لم تجد مكاناً آدمياً يسترها ويعزز كرامتها حتى وإن كان نظير أجر.

ستظل عزيزي القارئ تشمئز وتلعن كل من يفعل ذلك ويظنون في نظرك - ناس زبالة - حتى يصيبك ما أصابهم فلا تجد مفراً من أن تكون زبالة مثلهم رغماً عن أنفك، تماماً كما حدث في فيلم (عسل أسود) عندما استنكر الفنان أحمد حلمي على إدوارد تبوله في الشارع قائلاً "أنت زبالة يا سعيد" وما إن أصيب بالحاجة حتى فعل فعلته وهو في قمة توتره.

مشروعي الذي استغربه واستهزأوا به هو مشروع الآدمية والكرامة، المشروع الذي يريد إنقاذاً للمرضى وعطفاً على الصغار وستراً ل كبار السن. مشروعي هو المشروع الذي سيعيد الثقة لك وسيجعلك سائراً بلا خوف من الطارئ ويكفيك نخرًا أنه لن يأتي يومٌ ويقول لك أحدهم "أنت زبالة يا سعيد" علشان أنت ما تستحقش كده.

عزيزي المقبل على إقامة مشروع جديد، لا تنجّل من مشروعك ما دام مفيداً للناس ولا يُغضب الله تعالى.. ولا تشغل بالك بالمنتقدين، وإذا كنت ممن يحبون السير وراء مبدأ "الناس مش هتبطل تفعل كذا"، فاعلم أنك بالفعل على خطى النجاح لأن "الناس مش هتبطل تنتقد ولا تفتي" مهما كان مشروعك ومهما كان هدفه، ولذلك لا تنشغل بهم قيد أنملة، واللي يقول لك أصل المشروع بتاعك مش شيك أو ستايل .. قوله "اطلع من نافوخي".

هي بقت كده ؟!

من قال إن كل التكنولوجيا جيدة، وأن التقدم التكنولوجي دوماً ما يرسم عيوناً أجمل على وجه الحياة، إذا كنت ممن يصدقون فاحذر، فكم من مرة رسمت عيوناً ثم "جيت تكحلها عميتها". داخل الشركة التي كنت أعمل بها نظام اتصالات داخلية متقدمة تمكّنك من البحث عن تريد الاتصال به عن طريق الاسم إن لم تكن من هواة حفظ الأرقام. هذا "الأوبشن" رائع بكل تأكيد ولكنه كاد أن يكون سبباً في رفدي وطردي من الشركة ضرباً بالشلاليت غير مأسوفٍ عليّ.

منذ سنوات جاءني (شريف) أحد زملاء العمل ولكن بقسم آخر يطلب مني تصميم كارت دعوة فرحه كي يرسله في الشغل ع الإيميل للزملاء..

كنت منشغلاً جداً ولكن بعد إلحاح شديد وافقت على الطلب شرط أن يترك لي مهلة كي أستطيع عمل التصميم.

وافق على الفور وترك صورته والبيانات المطلوب نشرها واتفقنا أن أتصل به بعد انتهاء التصميم لكي يرسل لي صورة العروسة حتى يتم وضعها بجوار صورته على الدعوة.

بعد أن انتهيت من التصميم اكتشفت أنني لا أملك رقم هاتفه المحمول فقامت بعمل بحث على التليفونات الداخلية باسمه الذي لم أجد صعوبة في الحصول عليه.

ولكن لـ (سوء الحظ) أن اسمه يتشابه مع اسم مدير كبير وعضو مجلس إدارة بالشركة وبالتالي كان المدير هو الأول في التسجيل على السيستم.

اتصلت بالرقم وطبعاً اسمي ظهر لهذا المدير بينما بدأت كلامي بنبرة يشوبها الزهق "أيوا يا عم شريف".

سكت برهة كمن يتأكد من النبرة ثم رد "أيوا يا أحمد .. خير؟"

- بص أنا جييت آخري وخلصت.

- طب في إيه بس؟ أنا مش فاهم.

- يا عم ما فيش ابعت لي صورتها وخلاص.

- هي مين دي اللي ابعت لك صورتها؟

- مراتك.

- نعم .. هي بقت كده؟

- بقت كده إيه يا عم ما تخلص.

- أخلص إيه .. أنت هتستعبط!!!

- مش انت اللي قلت لي أعمل لها؟!

- تعمل لها!!!! ... تعملها إيه؟!!

- زي ما عملت لك يا عم.. خلصت منك وفاضل هيا.
- يا نهالار اسود .. دا انت واخذنا بالدور بقى!!
- والله دا انا تعبت قوي.. بس هتبتسطوا آخر انبساط.
- كان هنبتسط... طيب بص بكل هدوء كدا علشان فيه ناس هتترقد وفيه بيوت هتتخرب دلوقتي.. انت مين وعازيزيه؟
- هنا بقا بدأت أستوعب أن دا مش صوت شريف صاحبي فسألت بصوت متردد: "انت مين؟ .. مش انت شريف بتاع الصيانة؟".
- لأ... أنا المهندس شريف عضو مجلس الإدارة.
- متأسف جداً يا باشمهندس.. أصل حضرتك.. أصلها.. أصلهم.. ربنا يخلي لك المدام دي ست محترمة جداً والله.. دي ست زي الفل.. بص هو أصل يعني سلامو عليكمو.

أغلقت السماعة رازعاً إياها بينما كل زميلي على الأرض من الضحك إلا مديري الذي كان مضطراً أن يمسك نفسه من أجل أن يلحق بالمهندس شريف لكي يشرح له سوء التفاهم اللي حصل قبل ما قرار رفدي يتمضي في القسم مع محضر القذف.

لذا عزيزي القارئ إياك أن تستسهل استخدام أي تكنولوجيا جديدة قبل أن تتأكد تماماً مما تريد فعله وقبل أن تتأكد من عواقبها وخاصة لو كان في الشغل عضو مجلس إدارة اسمه شريف.

أو أقول لك الأسهل .. إذا طلب أحدهم خدمة وقت ضغط الشغل فلا تستجب له ما دام هو أصلاً لم يقدر الضغط الذي عليك وقل له بملء فيك "اطلع من نافوخي".

الزوج يريد إسقاط الفلانتاين

قررت زوجتي الحبيبة أن تحتفل بعيد الحب (الفلانتاين) لهذا العام، فأعدت العدة وجهزت المجاهيز، وكل هذا دون أن أدري ليكون الأمر على سبيل المفاجأة.

عند عودتي من العمل وبمجرد وصولي إلى باب شقتي ما لبثت أن أضع المفتاح بالباب حتى وجدته يفتح وحده (توموتيكي توموتيكي)، وإذا بزوجتي الحبيبة تستقبلني وهي مبتسمة ابتسامة عريضة على غير المعتاد، ثم بسرعة فائقة تُحسد عليها من رجال الأمن الوطني استطاعت أن تثأبطني وتسحبني إلى داخل عش الزوجية (السعيد طبعاً) ثم أوقفني وسط الريسبشن وقالت بنبرة دلح قد فارقتنا منذ أسبوع العسل: "كل سنة وأنت طيب يا حبيبي".

فنظرت لها باندهاش قائلاً: "وانت بالصحة والسلامة يا ست الكل بس على إيه؟" .. ثم أكملت بصوت يشبه علي ربيع وأنا أتلقت حولي: "وموقفاني هنا ليه كده؟ .. إوعي يكون اللي في بالي صح وهتوقي علي النجفة يا ولية".

رفعت حاجبها وبدأت معالم وجهها تتغير بعض الشيء وقالت:

"ولية!! - ماتبقاش سوفاج - نجفة إيه اللي هوقعها عليك؟!!"

- ربنا يخليكي يا حبيبتى، ما هو ذا العشم برضه.
 فاستطردت بحدة: "أنت عارف النجفة دي بكام؟" .. قالتها ثم
 أخذت نفساً عميقاً عادت بعده لهدوئها وابتسامتها غير المعتادة
 متوسدةً صدرى ومتدلعةً ثم قالت: "قول لي يا حمادة .. هو النهارده
 إيه؟".

بعد تفكير أجبتها: "النهارده الثلاث".
 فدفعتنى عنها ووضعت يدها في وسطها وتهزرت: (كما النوكيا
 ٣٣١٠) قائلةً بنبرة اختبار للمعلومات يغلفها التهديد: "وفيه إيه تاني
 غير الثلاث يا أحمد؟"
 أجبت بصوت متردد يشوبه القلق "مش عارف فيه إيه .. آه
 آه افكرت عيد العمال .. ولا مولد النبي باين؟!!!"
 (فتغيرت معالم وجهها بالكامل وانفجرت كما البركان)
 "أنا كنت متأكدة إنك مش هتفتكر أو شكلك فاكر أصلاً بس
 بتستعبط علشان ما تجبش الهدية".

- هدية إيه؟ هو في إيه النهارده بس يا بنت الحلال؟!
 فردت بكل أطراف جسدها "النهارده الفلانتاين يا أستاذ" ثم
 أدارت ظهرها لي وصاحت وهي سائرة وثائرة "تعالى ورايا يا بيه".
 طبعاً سرت وراءها دون أي مناقشة وإذا بها تفتح باب غرفة
 الطعام أو (أوضة السفرة) وقالت: "ادخل استناني هنا .. أنا جايه"

وما إن دخلت إليها حتى سرحت بخيالي ... ياااااااااااااااااااا أوضة
السفرة! تلك الغرفة التي يدفع فيها الزوج دم قلبه ثم لا يدخلها ولا
يستفيد بها، فهي عزيزي القارئ كما تعرف متحف مغلق ذو حصار
خاص تقوم به الحكومة (اللي هي المدام طبعاً) ولا يستطيع أحد
الاقتراب منها.. نعم تلك هي (الطرايزة) التي طالما حلمت أن أتناول
الطعام يوماً عليها وفشلت الكثير من المحاولات الوطنية والمفاوضات
التي أقمتها مع الحكومة -المدام- من أجلها، وهذا هو (البوفيه) الذي
يحتوي على عدد ليس بقليل من الأدراج التي لا أعرف حتى ما
بداخلها.

حدثتني نفسي أن أختلس النظر سريعاً لأرى ما بها، ولم لا وأنا
صاحب هذا البيت وهذه السفرة من حر مالي، ولكن والحمد لله ارتد
إلي صوابي سريعاً وتداركت موقعي وفكرت للحظات فيما سوف
يحدث لو طبت عليّ المدام وأنا أقوم بتلك العملية الاستكشافية
الاتحارية فرجعت عن قراري فوراً ووجهت وجهي إلى الجانب
الآخر مستعيذاً بالله من الشيطان فإذا بالقطعة الثالثة والأهم في
الغرفة ألا وهي (النيش).

هذا التابوت الزجاجي الذي تقوم الزوجة بوضع جميع أنواع
الأطباق والفناجين بداخله لكي (تنفشخر) أمام زميلاتها وأقاربها بما
يحتويه من صيني وأركوبال وبيركس وغيرها .. وهنا بدأت أتساءل

لماذا يكون عندي أنخم أنواع الأطباق وأتناول الطعام في أسوأ الأنواع من الألومنيوم والصاج، ولماذا لا يمكنني أن ألمس حتى تلك الأطباق .. لا بد أن يكون لي وقفة .. لا بد أن أقوم بثورة وانتفاضة على الوضع الحالي، لا بد أن أذيقها معنى الانفلات الأمني في البيت. هنا قررت أن أقوم بتكسير النيش أو حرقه أمام أعين المدام حتى أراها وهي تتمزق عليه كما تمزقت قلوب المصريين وهم يرون الجمع العليبي يحترق.

تمالكت نفسي واستجمعت قواي وقتت إليه والشر يمتلكني، بدأت أقرب منه خطوةً خطوة، مكر مفر مقبل مدير وأنا أردد: "أبكي - أنزف - أموت وتعيشي يا ضحكة مصر وتعيش يا نيل يا طيب"، وما إن وصلت إلى النيش ورفعت يدي تجاهه لكي أنفذ تلك العملية وإذ بزوجتي تدخل عليّ وفي يدها سكين كبير وفي اليد الأخرى تورطة حمراء مثل الدم، وما إن سقطت عيناها على هذا المنظر حتى وجدتي أجري وأتخبط وأقفز (براوليه) في الهواء خوفاً حتى وجدتي مستقرّاً فوق (طرايزة السفرة) رافعاً يدي لأعلى وأنا أصبح بأعلى صوتي وبكل ما أوتيت من قوة:

(النيش والشعب إيد واحدة ... النيش والشعب إيد واحدة).

ملك الغابة

أريد أن أوجه لك نصيحة عزيزي القارئ على طريقة فيلم (البحث عن فضيحة) للنجم عادل إمام والفنانة ميرفت أمين.
إذا دعاك أحد زملائك في العمل لحضور ندوة أو محاضرة فلا تأخذ حباية الشجاعة وتوافق على الفور قبل أن تتأكد من نوع المحاضرة وهدفها ومدتها الزمنية.

• طب ولو حضرت يعني إيه اللي هيحصل؟

- هيحصل لك زي ما حصل لحداد.

• حداد مين؟!!!

- واحد صاحبي ما تعرفوش.

في أحد الأيام دعاني أحد الزملاء في العمل لحضور محاضرة عن كيفية تأسيس الشركات وكيفية حساب المكسب والخسارة.
أصارحكم القول أنني قد تحمست جدًا للفكرة بالرغم أنها لا تتعلق بدراستي ولا بعلمي قيد أمثلة، ولكن كما تعلمون البحر يحب الزيادة فما بالك بزيادة العلم التي وصانا بها النبي محمد ﷺ.

وبالرغم من إنني لم أحضر الجزء الأول من المحاضرة التي شرحت بالأمس ولكن في النهاية "أهي محاضرة مجانية وكلهم ساعتين زمن نأخذ فيهم خبرة، وكان مديري يفرح بي وأنا مجتهد وبحضر محضرات زيادة على شغلي اللي زي الجبال".

على الفور سجلت اسمي ضمن الراغبين في الحضور، ولكن "بعد الفاس ما وقعت في الراس اكتشفت إنها مش مجرد محاضرة دا كورس طويل عريض وفي آخره امتحان نتيجته هتتقدم للمدير بتاعي (اللي هو هااا اسود يعني)".

المشكلة الأكبر أن هذا الكورس كله مصطلحات إنجليزي وأنا عزيزي القارئ علاقتي باللغة الإنجليزية تشبه علاقة كلب البحر بشوربة لسان العصفور، ما فيش أي حاجة تجمع ما بيننا.

وزاد الطين لغوصة أن تلك المصطلحات تم أخذها ومعرفتها هي وكل الأساسيات في المحاضرة الأولى .. تلك المحاضرة التي لم أحضرها أصلاً. (لقد وقعنا في الفخ)

لم يكن هناك حل ولا مجال للتراجع أو الفرار، ولا بد أن أكل المعركة للنهاية وزى ما تيجي تيجي.

أمام هذا التركيز والانتباه الشديد من السادة الزملاء بالمحاضرة لم يكن أمامي حل غير أن أمتن التمثيل، فاستحضرت روح كل الفنانين العظماء أمثال الفنان الكبير (يوسف بك وهي) لكي أستطيع أن أمثل دور الفاهم الذي المنتبه لكل ما يدور حوله.

ويبدو أنني كنت "أوفر" قوي في تقمص شخصية الفاهم، ويبدو أن كل أرواح الممثلين العظماء خذلوني وتخلوا عني وسط الميدان، حتى الأستاذ يوسف وهي خذلني عندما ترك كل الأدوار الجادة التي أتحنفنا بها وأرسل لي روح شخصيته في فيلم إشاعة حب. (يا لالالي .. يا لالالي)

ونظراً لانتباهي الزائد عن اللزوم فقد أوقف المحاضر الشرح فجأة وباغتني بهجمة مرتدة متسائلاً: "حداد .. انت فاهم اللي أنا بقوله؟". وكان ردي بكل ثقة وشموخ: "أيوه طبعاً يا فندم .. أنا فاهم كل حاجة".

فأكل سعادته الهجمة المرتدة بضربة حرة مباشرة قائلاً: "طب قول لي ما هو الأسيت؟".

بكل ثقة وبدون تفكير قلت "الأسيت ملك الغابة".

سكوت تام، وكل العيون قد تفنجلت عن آخرها متعامدةً عليّ ومصاحبها أفواه مفتوحة في ازبهار واضح من جرأتي في إلقاء تلك القنبلة الألسية في هذا التوقيت الحرج.

بالطبع عزيزي القارئ أنت متخيلني الآن وأنا أطرده شر طرد من المحاضرة، ولكن المحاضر سكت تماماً وتوقف عن الحركة كالذي تشنج جراء لسعة كهرباء، لحظات مرت علينا كأنها ساعات وبعدها نطق أخيراً وقال "المحاضرة الجايه امتحان" ولملم أوراقه ورحل.

انتظرت مجموعة فاخرة من أجود أنواع الشتائم بعد الألسة اللي ربما بل بالتأكيد ستكون السبب في امتحان شديد اللهجة يقذف بنا جميعاً إلى هاوية السقوط في الامتحان وتنضم جميعاً إلى حزب (أبو كعكة).

ولكن المفاجأة إن ما حدث كلمني، لم أسمع إلا همساً بين الزملاء، ولم يتحدث معي أحد عما حدث بخير أو بشر، فقط عيون متعامدة ونظرات مش مفهومة.

جاء يوم الامتحان وأخذت أفتكس الإجابات، فظلمت أكتب كلمة من هنا على كلمة من هناك ونشنت فلا رشق نشاني ولا جت مع الهبل دُبل.

وبعد النتيجة اكتشفت أنه ليست كل نظرات الناس لنا تكون دائماً متوافقة مع التفسير اللي جوانا، فلك النظرات تبني على تصرفك وشكلك الخارجي ولا تبني على ما تحسه بداخلك.

طبعاً تهت مني ومش فاهم حاجة .. أبسطهاالك

ظهرت النتيجة وطبعاً حصلت على كعكة كبيرة، دهشة الزملاء من النتيجة جعلتني سألت صديقي عن سبب دهشتهم ونظراتهم وهمسهم الآن ووقت القلشة إياها، عرفت إنهم كانوا منتظرين أن أكون الأول عليهم ذلك لأنهم اعتبروا أن القلشة وراءها ثقة لا تأتي إلا من واحد فاهم ومدكّن. يعني من كتر الثقة اللي تكلمت بيها خلت الناس تخيلت إن الإجابة دي عبارته عن رد خبيث مني بياكد اعتراضه على السؤال التافه من السيد المحاضر، وبالتالي إذا أنت بتستخف بي بهذا السؤال البسيط فأنا فاهم وهرد بنفس درجة الاستخفاف في الإجابة.

يعني الرسالة وصلت معكوسة وبقت في صالحه بسبب تعبيرات الوجه اللي أكدت لكل قد إيه أنا واثق في نفسي.

ساعتها افكرت عادل إمام في مدرسة المشاغبين لما بص باند هاش كبير لسعيد صالح أثناء هرتلته المشهورة وهو بيشرح المنطق وبعدين قال: "الواد دا بيذاكر من ورانا ولا إيه؟"

كثير منّا يتقمص شخصية (بهجت الأباصيري) المنبر أول ما الفتاين يلبسوا وش (مرسي الزناتي) الواثق في نفسه والمنفعل بإجاباته.

واسأل الي صدقوا رجال توظيف الأموال وأباطرة العلاج بالأعشاب الي لموا القرشينات من الإعلانات وبقوا أصحاب فضائيات ولا الي صدقوا إن الإيدز هيتحول صباع كفته يتغدوا عليه.

مش كل واحد راسم الثقة وييتكلم بنبرة الواثق من نفسه يبقى فاهم، ومش كل واحد يبسخر من كلام الكبار وأصحاب العلم يبقى معاه حق وفي جيبه دلائل أكبر، دي مجرد ستارة يبستخوها وراها علشان عارفين إن الناس هتصدق كلامهم وهيتحولوا بقدره قادر إلى (بهجت الأباصيري).

العالم الأمريكي (روبرت بارك) وصف في كتابه "الفودو العلي" العلماء المزيفين بسبع صفات أولهم أن هذا العالم المزيّف دائماً ما يقدم أبحاثه وآراءه أمام الإعلام فقط ولا يقدمها أمام لجنة مختصة حتى لا ينكشف زيفه، ولكن ما دام قد ظهر على وسائل الإعلام فإن المواطن سيصدق.

هذا ما حدث ورأيناه فعلاً، فلا أباطرة توظيف الأموال قدموا خطتهم أمام علماء المالية، ولا دكاترة أعشاب الفضائيات قدموا

أبحاثهم للجهات الطبية المختصة ولا معالجي السحر والجن والدجل قد رأيناهم يوماً أمام لجنة من شيوخ الأزهر.

الجميع يذهب إلى الإعلام بكل ثقة وبدون قلق علشان ساعة ما العلماء هيتكلبوا لكشف زيفهم الواضح، هيلاقوا مليون بهجت الأباصيري مصدقهم ويدافع عنهم.

ليس كل من يظهر علينا من باب شاشات الإعلام صادقاً وليس كل من رسم الثقة على وجهه حقيقياً، فصاحب الحق يمكن أن تظهر عليه علامات التوتر والقلق خوفاً من أن لا يستطيع إقناعك بالحقائق التي بين يديه، بينما ذلك النصاب دائماً ما يرسم الثقة لكي يوصل لك العكس، ذلك الشخص الذي لا بد من صده منذ البداية بأن تقول له بملء فيك (اطلع من نافوخي).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^١

أرابيز للبيع

صباح أحد الأيام لاحظ أحد أصدقاء العمل انكبائي على مكتبي وانهماكي في الكتابة غير مكترث لما يدور حولي فأخذته عجلة الفضول ليبدأ الحديث بابتسامته المعتادة:

- صباح الفل يا حداد .. مشغول في إيه ع الصبح كده؟
- زي ما انت شايف قاعد بكتب .. وسينى دلوقتي علشان أنا ما نمتش طول الليل أصلاً.
- الله .. طب وليه كده .. إيه اللي سهرك؟
- بفكر في صيغة حلوة للإعلان ده.
- إعلان إيه يا كبير .. هتبيع العيال ولا إيه؟
- لا يا خفيف .. أنا هأجر أرابيزي.
- هتأجر أرااا إيه؟!

- أرابيزي يا عم .. اسمع هاحكي لك، النهارده وأنا راجع في الأتوبيس، لقيت راجل تجارة كده قاعد جني ومهموم، حبيت أخفف عنه فبقول له ما لك يا راجل يا طيب، راح قايل لي بصوت منكسر ومتردد زي صوت كرم مطاوع: "مش عارف أقولك إيه بس يا ابني .. الراجل صاحب البيت عليز يطلعني أنا وعيالي من الشقة

الي لمانا ومخبيانا من برد الشتا الي ما بيرحمش جتّة .. وهنروح فين
يا ابني بس والحال ما يعلم بيه إلا المولى؟!".

صعب عليّ قوي فسألته: هو انت بتدفع إيجار كام؟ .. فقالي
بدفع ٨٤ جنيه بحالهم والشقة يا دوب ٢٥٠ متر.

- يا نهار أسود ٨٤ جنيه بحالهم .. انت بتهرج يا حج ما تزوده
شوية يا عم دا انت ماسك في إيدك موبايل أنا مش ماسكه وكان
فاتح اليوتيوب .. هو أنت باقتك من أم كام يا بركة.

- لا يا ابني دا مش يوتيوب .. دا أنا عامل لايف مع أحفادي
علشان هنتجمع في العمارة كلنا النهارده.

قولت له: عمارة إيه؟! .. أنت مش بتقول شقه؟!

قال لي: يا باشا أنا بتكلم على العمارة بتاعتي مش شقة الراجل.
بصراحة مقدرتش أمسك نفسي وتعصبت وقولت له: "الله ..
طب لما انت عندك عمارة قاعد في شقة الراجل ليه ما تسيبها له".

لقيت ظهره المحني اتفرد وراسه الصلعة طلع لها شعر وعينه لونها
قلب ألوان وصوت كرم مطاوع اتقلب على غسان مطر وقال: "وحياة
أمه ما هيطول مني جنيه زيادة والـ ٨٤ جنيه الي مش عاجبينه هخليه
ييوس إيدي علشان ياخداهم .. هو فاكرني هاسيها له ويتمتع هو
بالـ ٢٧٠٠ جنيه؟".

- يا لهوي .. يا عم ٢٧٠٠ جنيه إيه انت مش بتقول ٨٤ جنيه؟!

قال لي: "يا ابني لأه .. ما أنا مأجرها من الباطن وباخد من المستأجر ٢٧٠٠ جنيه في الشهر، مع إنه والله قليل .. بدمتك يا أستاذ هو في شقة في الزمن ده مساحتها ٢٥٠ متر وواحدة ناصيتين ويبقى إيجارها ٢٧٠٠ جنيه بس؟"
 قولا له: لأ طبعا يبقى إيجارها ٨٤ جنيه يا اللي تتشك في معاميعك.

- يا نهار اسوح، شمتت الراجل في الأتوييس طب وبعدين؟
 - ولا قبلين جريت بقى علشان أنزل من الأتوييس، الراجل قعد يزعق ويقول "مش هاسيها له وهاقعد في أراييزه - سامعني هاقعد في أراييزه".

- طب ماشي إيه علاقة دا بالإعلان اللي بتكتبه؟
 - هاقول لك .. ما هو أنا بعد ما نزلت من الأتوييس وجيت داخل على الشغل لقيت البت نوال بتاعت شئون العاملين اللي سارحة ورايا ليل ونهار دي كانت بتتكلم مع سوسن على السلم، قوم إيه وأنا معدي راحت معليا صوتها وقايله "بس مش هيفلت مني .. أنا هافضل وراه وهاقعد له في أراييزه".

- ههههههه .. هي البت دي مش ناوية تجيبها البر.

- المشكلة إني حتى لما رجعت البيت بقول للهدام انتي رجعتي م
الشغل بدري النهار ده ليه؟ قالت لي "هروح فين يعني يا حبيبي -
قاعدة في أراييزك"، بس يا سيدي ومن ساعتها وصوت الجملة دي
بيرن في وداني .. أنا قلقان وخايف قوي يا صاحبي.

- أنا مش فاهم حاجة .. طب انت خايف من إيه؟
- انت تعرف إيه هي الأراييز دي؟ أو تعرف مكانها موجود
فين؟

- لأ .. بس واضح إنها موجودة في جسم الإنسان.
- ويتأجر .. واضح أهوه من كلام الناس، وتقريباً كدا بيكون
إيجار قديم يعني اللي بيسكنه بيقتد على قلبك ما يطلعش ولا بالطبل
البلدي، الموضوع دا محيرني جداً ومش عارف إذا أخذت بالك من
الموضوع دا قبل كدا ولا لأ.

- الحقيقة لأ .. دي أول مرة آخذ بالي منها.
- طب وبعدين، أنا بصراحة خايف على أراييزي قوي يا
صاحبي، ومش عايز أي حد كدا يقعد لي فيها من غير لا احم ولا
دستور، إحنا لازم ناخذ بالناس من أراييزنا أكثر من كدا يا صديقي،
لازم ناخذ احتياطاتنا.

- يخرب بيتك أنا اتوترت .. أيوه طب يعني نعمل إيه؟

- أنا بفكر أركب سلك شائك حواليه.

- حوالين إيه؟؟

- حوالين أراييزي يا عم، ما تركز معايا شوية بقى.

- ما لك يا حداد .. إهدا يا غالى.

- لالا لالا انا مش هسكت ولازم أتصرف، أنا عايز أكلم الأستاذ

إيهاب توفيق أكيد عنده حل .. تعرف رقه؟

- رقم مين بس ما تستهدا بالله كده .. إشمعنى إيهاب توفيق

يعني.

- مش هو اللي كان بيقول "أراييز أراييز واللسه والحلو عيونه

مش حاسة" يعني هو على دراية بالموضوع دا من زمان وأكد لقاله

حل.

- لا إذا كان الموضوع وصل لكده بقى يبقى الأفضل تكلم

الأستاذ مصطفى قمر.

- هو أستاذ مصطفى ليه علاقة بالموضوع برضه؟

- طبعاً .. دا استاذ مصطفى دا أريزاوي قديم، اسألني أنا، مش

هو اللي قال "ويا ناس أنا دوبت ف أراييزه .. أراييزوه

أراييزوا|||||||... أهوه كان دايب في أراييزه أهوه يعني كان متعمق

جواها كان.

- لا يا عم .. الثانية دباديو.

- إيه دباديو دي؟

- دي جمع دبدوب.

- ليه هو أستاذ مصطفى كان ساكن فوق الشفونيرة بتاع حبيبته

يعنى ولا إيه؟

- يا عم أنا عارف .. خلىنا بس نلحق الأرايز وبعدين نشوف

موضوع الدباديب ده.

- إهدا بس .. أصلاً دي كلها أغاني قديمة، الأغنيتين دول من

سنة ٩٢ على فكرة وما حدش يقول الكلام دا دلوقتي.

- بالظبط كده، دلوقتي فيه تعميم إعلامي شديد على الموضوع وأنا

شاكك إن التعميم دا وراه جهات أجنبية .. ولا يكونشي دا مخطط

من الحكومة لحل أزمة الإسكان!!!

- يا سلام؟

- آه والأرايز تشح وتغلى في السوق بعد كده والناس متلاقيش

أرايز تقعد فيها، فتحصل ثورة ويحصل انفلات أمني في البلاد

ويجبلي حد يستغل ظروف البلد ويقعد في أرايزي غصب عني، وأنا

وحظي بقى يعني ممكن يكون غلس ولا ما يكونش نضيف مثلاً ..

فيه دل الأرايز بتاعتي هو وولاده اللي ممكن يكونوا من العيال إياهم

الي ليل ونهار في الشارع ويببقوا لابسين من فوق بس دول ويعملوا

بيبي في أي جنب وف أي حطة يقوموا ييجوا في أرايزي ويش.....

- لالا لا يع يع مش قادر أتخيل.

- شوفت بقى،، فقلت أأخذ الحيطه ليشخ....

- يشخ إيه؟؟!!

- يشخبطولي ع الحيطه يا أخى.

- آآآه.

- ودي مش أي حيطه .. دي حيطه أراييزي يا جدع.

- طيب وقررت إيه؟

- قررت إنه لازم يكون لينا وقفة ولازم ندافع عن أراييزنا

بنفسنا، ومن هذا المنطلق قررت تكون المبادرة من عندي ..

وقررت إنى أأجر أراييزي بنفسى وبشروطى واللى عايز وتنطبق عليه

الشروط بيعت لى بياناته على الإيميل وأنا اللي أختار بنفسى مين اللي

يسكن أراييزي، اسمع صيغة الإعلان بقا واتعلم.

- هآآآه .. سمعنى لما نشوف آخرتها.

- اسمع يا سيدى .. (إعلان هام)

يعلن المعلم حداد (سمسار أراييز) عن وجود أرييز فاضى سور

لوكس للإيجار .. الأرييز لشاب فى الثلاثينيات .. لم يستغل من

قبل .. كالجديد دواخل وخارج (فابريكة). يحيطه مساحات حمراء

من الأوردة والشعيرات الدموية التى تجعلك تشعر بالطبيعة الخلابة،

وواجهة من الجلد ونوافذ من الأغشية المضادة للعوامل الجوية

وبلكونات تطل على البنكرياس مباشرة، حوائط مبطنه وناعمة كالحرير

وخالية تماماً من حَب الشباب، تمتع بأجمل وأحلى سهرات البند
 الغربي على دقائق القلب المليئة بالنغم بالإضافة إلى حفلات الجاز
 والصوت المميز لزمارة رقبتي المرفهة الحس، كما يمكنك ممارسة
 الرقص الشرقي (على واحدة ونص) مع درابوكة طبلية ودني المميّزة.
 فقط مطلوب حد مريح صريح يحب التفاريح ، يقعد على أراييزي زي
 ما هو عايز بس يقوم ساعة واحدة كل يوم للتهوية وعلشان الأراييز
 ماتكمكش.

عرض جبار وتحطيم للأسعار ... ولو كنت لذيذ أدخل ع
 الأراييز، عرض جديد وخذ بالك من التقليد، واللي يقولك أنا عندي
 من ده ولا أحسن منه قوله بالنص المليون ... أراييزك حمرا .. ولا
 اقولك .. قوله (اطلع من نافوخي).

- (الفصل الثاني) -

ثقافة حصري
للشعب المصري

الحلم الممنوع

قبل ثورة يناير وفي عصرٍ مُنعت فيه الأحلام، كنت أنتظر موعد النوم حتى أغلق عليَّ غرفتي، أطفئ الأنوار، أنبسط على سريري ويبدأ الحلم.

لم يكن حلمي يوماً حلماً عادياً ولذلك لم أجرؤ يوماً على أن أحكيه لأحد حتى لأقرب الناس إلى قلبي لأن أبسط ما يكون أنهم سوف يصفوني بالجنون مع حجز أول تذكرة (ذهاب فقط) إلى السرايا الصفراء.

والحقيقة لن أجدها (نذالة منهم) لأن تلك السرايا الصفراء هي أرحم بكثير من أن يضعني حلمي تحت طائلة شرطة الأحلام في أمن الدولة والتي سوف أعود بعدها إلى بيتي منفوفاً على ٣٢ كما إيطارات السيارات (دا إن رجعت يعني)، وإذا سألتني المحبون (انت منفوخ علينا ليه يا نجم؟) أجيب وعيني في الأرض بصوت مبحوح: "أصلي بتعالج بالكورتيزون، والكورتيزون ينفخ يا جماعة"، وهذا ما لا أحبه لأن (الكور) يبهدل (التيزون) زي ما اتوا عارفين. (والتيزون مش ناقص خالص الحقيقة).

اسمك الآن تتساءل ما هذا الحلم الذي يمكن أن يوصل إلى كل هذا، يكفيك أن تعلم أن حلمي كان بعنوان (حداد رئيس الجمهورية).

ولأنني كنت أحلم أنني رئيس الجمهورية فكنت أرتب في الوزراء على حسب ما تراءى لي في هذا الوقت ومع هذا السن الصغيرة، فأضع على كل مقعد وزاري شخصية عامة معروف عنها الوفاء في مجال تلك الوزارة، على سبيل المثال ستجد في حكومتي التخليية اثنين على مقعد رئيس الوزراء فهذا الدكتور كمال الجنزوري على مقعد رئيس وزراء الشؤون الداخلية بينما الدكتور عمرو موسى على مقعد رئيس وزراء الشؤون الخارجية والعسكرية، بينما ستجد على مقاعد الوزراء الكابتن محمود الخطيب للرياضة، عمرو خالد للشباب، محمد صبحي للإعلام، طارق علام للشؤون الاجتماعية، أحمد زويل للتعليم والبحث العلمي ومجدي يعقوب للصحة وغيرهم الكثير وذلك مع حفظ الألقاب طبعاً.

لن ألتفت للخطأ الدستوري في وجود مقعدين لرئيس الوزراء، فالحلم لا دستور له، ولن يشغلني إن اتفقت أو اختلفت معي في بعض الأسماء لأن في وقتها كان هؤلاء هم أبرز الشخصيات على السطح ولم يكن هناك وقتها فلول ولا دياولوا.

الشيء الوحيد الذي كان يشغلني والسؤال الوحيد الذي طالما عجزت عن إيجاد إجابة له: من ذا الذي يصلح لكي يشغل مقعد (وزارة الثقافة)؟

كنت دائماً تنتابني الحيرة عندما أصل لتلك الوزارة، لم أكن أجد له من يشغلها، لا لصعوبة المركز ولكن لأنه منصب معقد وغير مفهوم، فمن ذا الذي يصلح أن يكون وزيراً للثقافة، ثم أنه ماذا تعني أصلاً كلمة ثقافة؟ وما هو العمل المنتظر من وزير الثقافة؟

هل من المفترض أن يقوم بتنمية ثقافتنا الداخلية، أم يصدر ثقافتنا للخارج، أم عليه أن يستورد ثقافات خارجية ويدخلها بلدنا؟ .. وكل مرة أجد نفسي عاجزاً أمام سؤال واحد .. يا وزير الثقافة: "إنتي إشتغلي إيبيه؟!"

المشكلة أن لكل بلد ثقافة مختلفة نابعة من حضارتها المعروفة، بينما نحن بلا نخر (مكس حضارات)، عن الحضارات التي تحتضنها بلادنا فحدث ولا حرج، فحضارتنا فرعونية على يونانية على روماني على قبطية على إسلامية - مولد حضارات سعادتك - وهو ما جعل لنا الآن العديد من الثقافات المختلفة تماماً، لذا إذا نظرت إلى بلدنا من أعلى ستجدنا مجموعة شعوب وضعها الله على أرض واحدة ولكل طبقة منهم ثقافة تختلف في الشكل والمضمون وتميز كل منهم عن الآخر.

الأصعب من كل هذا أننا نمتلك داخل أروقة بلادنا عدة ثقافات غير موجودة لدى الشعوب الأخرى يمكنك أن تطلق عليها (ثقافة حصري) وخلال الصفحات القادمة سوف أعرض عليك عزيزي القارئ بعض الثقافات الخاصة بشعبنا والتي قابلتها في الشارع المصري لعلك تتفق معي وتعرف مدى الصعوبة التي تواجه من يتولى منصب وزير الثقافة.

إتفرج يا سلام

تحب تتفرج على إيه؟ .. أجيبك خناقة تتفرج عليها؟! .. طب
أجيبك واحد بيوت على الأسفلت وسايح في دمه؟! .. طب بلاش
الحاجات (النوتي) دي أجيبك إشارة مرور تقف عندها تتفرج ع
الي رايج والي جاي من إزاز عربياتهم؟

ماستغريش عزيزي القارئ .. إحنا شعب بنخب تتفرج قوي
وبنعشق الفرجة من زمان حتى لو كنا بنتفرج على حاجة مالهش أي
تلاتين لازمة ومش هنستفاد من وراها أي حاجة المهم إننا نتفرج
وبس.

فمثلاً البنات البنات ألطف الكائنات الأنسات منهم
والمتزوجات، ستجد أن أسعد لحظات حياتهن يقضيها أثناء ترحلهن
ما بين فتارين المحلات في الأسواق والمولات، بل إن تلك العادة في
حد ذاتها علاج نفسي قوي لمن تعاني منهن الحزن والأرق
والاكتئاب، فتجد الواحدة من دول إذا اتخانقت مع العيال (أو أبو
العيال طبعاً) تنزل تتمشى شوية وتفرج ع المحلات وترجع مبسوفة
قوي قوي ولا اللي كانت في جزر المالديف.

وبالرغم من أن "الجنس الخشن خشن والجنس الناعم ناعم" كما قال الفنان سمير غانم في فيلم (الزواج على الطريقة الحديثة)، وبالرغم من أننا نعيش عصر منيل بستين نيلا لم يصبح فيه كل الجنس الخشن خشناً ولا كل الجنس الناعم ناعماً، لذا فإن عادة الفرجة لا تقتصر على الجنس الناعم فقط، فكلنا من بني آدم ونشترك في الكثير من الصفات ولا تنسوا أن "البنت زي الولد ماهيش كماله عدد" .. ولا إيه؟

فرجل البيت مثلاً بمجرد عودته من العمل فلا بد أن يخلع ملابسه ويرقد بالفانلة الحملات أمام التلفزيون متأثخاً على الكنبه متنقلاً بين القنوات بواسطة الريموت كنترول، ذلك الجهاز الصغير الذي ما إن ينهي جولته الروتينية حتى يستقر على كرش صاحبه، وبالرغم من عدم تركيز الزوج على أي شيء مما يتحرك أمامه على الشاشة إلا إنه لو جدعة خدي منه الريموت.

بينما الشاب المراهق الذي يقف طوال النهار في البلكونة رافعاً كوزين الأسمنت اللي عاملهم (دمبلز) منتظراً مرور بنت الجيران أمام شباك غرفتها لعلها تلمح (عضماته) فتذوب فيها حباً، أو ربما تخرج ست الكل اللي تحتهم إلى البلكونة لتنشر الغسيل علشان يتفرج وهو ورزقه بقى.

أما عن حبايي المراهقات من البنات، فحدث ولا حرج عن فرجتهم على بعضهم البعض في الشوارع، في لحظات يتم عمل إسكان طولي (X-Ray) بالعيون وفي أقل من الثانية تظهر النتيجة بمعرفة ستايل وماركات والألوان التي ترتديها تلك الفتاة.

المشكلة أن ثقافة الفرجة قد تطورت بشكل ملحوظ وبدأت في أخذ منحى آخر أكثر خطورة، فإذا حدثت مشاجرة في مكان ما تجد الجميع يجري صوبها لا من أجل إنهاؤها ولا حتى من أجل تهدئة النفوس .. ولكن من أجل الهدف الأنبل والأسمى ألا وهو الفرجة. يُقبل شعبنا الحبيب على الخناقات بكل فرحة وتجد السعادة تملأ وجوه المشاهدين من كل الأعمار بينما تجد علامات الاهتمام مرسومة على الوجوه بجدية لا تراها حتى في امتحانات الثانوية العامة. وبدلاً من أن تسمع صيحات الاستغاثة والاستنجد تسمع صيحات أخرى من نوعية: "ولا يا ماندو يقولك في خناقة جامدة قوي في الشارع اللي ورانا .. يلا بسرعة نلحق نتفرج قبل ما تخلص". ومن جهة أخرى من منا لم يتأخريوماً على عمله أو يلغي مشوارا مهما بسبب حادثة في الطريق، ففي بلدنا الغالي عندما يقع حادث مروري تجد الطريق قد توقف تماماً (قد يبدو هذا طبيعياً) ولكن لماذا دائماً يتوقف الطريق المقابل أيضاً؟، ذلك ما تكتشفه لما ربنا يكرمك وتصل بعد ساعة كذا إلى مكان الحادث بسلامة الله فلا تجد

حادث أصلاً بينما مجرد (عربية ١٢٨) عطلانة على جنب والطريق فاضي وزى الفل، وسبب العطلة الوحيد إن كل عابر سبيل لا بد وحتماً ياخذ لحظة من الفرجة.

أغرب ما في الموضوع ذلك الشخص الذي يظل يزمر ويتذمر ويملاً الدنيا كلاكسات لكي يتحرك اليه اللي بيتفرج قدام ويخلي عنده شوية دم علشان الطريق كان يتحرك، ويظل يلعن ويشتم في الناس اللي بتتفرج ويتهمهم بالجهل وعدم احترام الطريق وتعطيل وصول الإسعاف إلى المصاب، إلا أنه وبمجرد وصوله إلى نقطة الحادث يتحول ١٨٠ درجة ويأخذ دوره في الفرجة هو كمان ومش بعيد يطلع موبايله ويصور الحادث علشان يهر الفانز اللي ع الفيس بتغطيته الإعلامية المتميزة ويكش يولع الإسعاف والمسعفين والمصاب ذات نفسه. (ما الكل اتفرج جت عليا يعني).

ولأن الشيء بالشيء يذكر وبما إننا جينا سيرة العرييات والطرق، أحب أفكرك عزيزي القارئ بنموذج ثاني رخم عنده ثقافة الفرجة برضة ودا بتقابله دائماً عند الإشارات، أثناء توقفك في إشارة (لا مؤاخدة) حمراء، فتجد سكان السيارة التي بجوارك وقد تركوا كل شيء وقعدوا يتفرجوا عليك .. فتستغفر ربنا وتروح طالع عجلة قدام (واللهم طولك يا روح)، يروح هو كمان طالع وراك ويكمل فرجه عليك. فتستفز ويثيرك الفضول لفتح زجاج سيارتك لكي تسأله: "هو

حضرتك تعرفني؟، طب هو أنا مش خلصت فترة المراقبة اللي عليا باين، طب حضرتك بتتفرج عليا ليه؟".

لا تقلق عزيزي القارئ انت زي الفل ولكنها ثقافة الفرجة يا عزيزي، ويكفيها نغراً أننا الشعب الوحيد عند اكتشاف قبلة في الشارع كذا تتكاتف وننبه بعضنا البعض بسرعة البرق ونجري سوياً لا خوفاً من القنابل وتفجيرها وإنما لكي نأخذ صورة سيلفي معها ويا حبذا لو ربنا كرمنا وأخذنا اللقطة وهي بتنفجر.

أما القشة اللي قسمت ظهر البعير وحطمت أكبر علماء علم النفس بل وأوصلت الكثير منهم للانتحار بعدما عجزوا عن التفسير والتحليل والتعليل، عندما أعلنت الدولة حالة الطوارئ وحظر التجوال في البلاد فنزل شعبنا الجميل إلى الشوارع علشان يتفرج على حظر التجوال.

تخيل وصلنا بثقافة الفرجة لأي حد، دولة تعلن حظر التجوال لوجود خطر على حياة المواطنين، فينزل المواطنون إلى الشوارع لكي يتفرجوا على أنفسهم وهم محظورون من التجوال.

وصلنا بثقافة الفرجة لمرحلة خطر، بل فوق الخطر بمراحل وعدينا كل الخطوط الحمراء والسوداء أيضاً، وما زال الشعب المصري يهر العالم بثقافته الخاصة .. تلك الثقافة التي تسمى "ثقافة الفرجة".

وهنا يحضرني سؤالان في غاية الأهمية:-

أولاً: متى ننشغل فقط بأنفسنا ونترك الفرحة على خلق الله؟ ..
 متى نترك تلك العادة السلبية التي لا بتودي ولا بتجيب (آسف تلك
 العادة التي بتودي في داهية وتجب كل المصائب).

وثانياً:

متأسف عزيزي القارئ مش هلحق أكتب ثانياً ومضطر أقولك
 "اطلع من نافوخي دلوقتي بقى علشان في خناقة تحت البيت عايز ألحق
 أنزل أتفرج عليها".

حرك شفايفك علشان مش شايفك

"صوتك العالي يدل على ضعف موقفك" .. تلك الجملة التي أخذ مدير المدرسة يعيدها مراراً وتكراراً بصوته الجهور على مسامع تلاميذه في طابور الذنب الصباحي من خلال أبواق المدرسة المعدنية مما جعل جاره المستاء والمنزعج من هذا الصوت البهائي يقطع أسلاك تلك الأبواق ليلاً.

ذلك المشهد العبقري للفنان كريم عبد العزيز في فيلم (في محطة مصر) الذي يشرح ببساطة الحالة التي وصلت لها لغة التواصل فيما بيننا، فثقافة الصوت العالي أصبحت أساساً في جميع تعاملاتنا، فالتربية في بيوتنا بالصوت العالي، مذاكرة الأم لأبنائها بالصوت العالي، مناقشة الأزواج بالصوت العالي، التدريس في مدارسنا بالصوت العالي، توجيهات المديرين بالصوت العالي، أوامر المسؤولين بالصوت العالي وقولنا هنبني وأدينا بنينا الصوت العالي.

هناك معادلة فطرية قديمة تقول " كلما علا صوتنا قل سمعنا وقلت المعلومات الواصلة فتزيد الخلافات".

وبالرغم من ذلك ليس هناك ما يدعو للاستغراب والتعجب، فأصول الحوار وآدابه نستمدّها من مثقفينا ومسؤولينا الذين يطلون

علينا من النافذة الأكبر ألا وهي نافذة الفضائيات، ومع الأسف الشديد فنحن نرى المثقفين والإعلاميين في بلدنا منورين بصوتهم العالي على منصات التوك شو وهم يتعاملون بمبدأ (خدوهم بالصوت ليغلبوكوا)، فكم من احتداد بالألفاظ قد رأيناه علناً على مرأى ومسمع من العالم من خلال شاشات فضائياتنا اللي مشرفانا، ذلك الاحتداد الذي وصل إلى التشابك بالأيدي في بعض الحالات، فذلك هو الشكل وهذا هو المنطق الذي يصدره لنا مثقفونا.

إذن ما هو المنطق؟ .. المنطق: إنك تفضل تزعم انت واللي قدامك قصاد بعض لحد ما واحد فيكوا يتعب ويقع مايحطش منطق .. صح ولا مش صح يا متعلمين يا بتوع المدارس.

ومن هنا بنيت ثقافة الصوت العالي، احتضناها ونشرناها وطورناها حتى أصبحت ثقافة مكس، يعني كل حاجة والعكس. فبالرغم من أن "صوتك العالي يدل على ضعف موقفك" كما قلنا مسبقاً إلا أننا نستخدمه كمظهر من مظاهر القوة (خدوهم بالصوت ليغلبوكوا) ولا تخرج قبل أن تقول سبحان الله.

كما أن الصوت العالي هو أداة تعبير عن مدى فرحك أو حزنك. فمثلاً لكي نعبر عن فرحنا بشكل جيد فلا بد أن تعرف أيها العريس أن "بنتنا ماتدخلش سكييتي كده، ولازم نعملها أحسن ليلة حنة فيك يا كفر أبو الكاكيث ولازمًا وحتماً ولا بد تكلف ويحيلها أحسن

(دي جي) فيكي يا بلد، آه ما هي مش أقل من صفاء بنت بدرية ولا محروسة بنت إجلال".

يأتي الدي جي بعشروميت سماعة ويقوم برصهم فوق بعضهم حتى إذا ساوى بين السطوحين علقت الأنوار والكهارب في الشارع بطوله لكي يغلق الشارع حرفياً وتبدأ السماعات في إطلاق صراخها. حتى حديثو الولادة لم يسلموا من الضجيج ومن الصوت العالي، فلا بد من أن نحتفل ونحتفي بهم ب (السبوع) حيث دق الهون جنب صرصور ودنه، دا طبعاً بعد أن يأخذ نصيبه من الخمطة في الغربال وهو يستمع إلى أول وأغلى نصائح تلقى على أذنيه الصغيرتين "اسمع كلام أمك .. ما تسمعش كلام أبوك" ثم نسأل بعد ذلك عن عقوق الابن لوالده. ثم ذلك المشهد الدجلي المشعوذ، أشباح تدور حوله وشموع مشتعلة وبخور يخنق الأنفاس وأصوات تنطق بتعاويد غير مفهومة المعاني "حالاتك برجلاتك" ثم نستغرب لماذا يتجه شعبنا للدجالين.

أما على صعيد الحزن وفي أشدها ابتلاءً والتي هي حالات الوفاة فالاختلاف فقط في طريقة رص السماعات لتكون أفقية بطول الصوان لا رأسياً كما في الأفراح، وبعلو يسمح لها بأن تصيبك بالصمم دون أي اعتبار لوجود مرضى أو طلبة يستذكرون دروسهم أو حتى

مستشفى قريب به مرضى يعانون آلاماً لا يحتمل معها تلك الأصوات العالية.

"انت هتكفربقا يا أستاذ، دا كلام ربنا اللي بيتقال ده، وبعدين ما اللي يسقط يسقط واللي يعاني يعاني ولا يتحرق حتى، هو الحاج البهبوني الله يرحمه كان قليل في البلد علشان يخرج كدا سكيقي، انت عايز الناس تاكل وشنا وتقول إن اننا ما صدقنا الحج يموت ولا إيه؟"
كلام يجعلك تشعر أن الحج إذا لم تقم له تلك الدوشة الممنهجة فغالباً كدا هيتقمص في تربته ويمكن مايرضاش يتحاسب ويقول للبلايكة "الحساب عند ولاد الكلب اللي استخسروا فيا العزا أبو ٢٨ سماعة والفراشة الذهبي اللي عليها صورة الشيخ الشعراوي".

فيا كل من يرى أن قوته في الصوت العالي ويستخدمه دون أي اعتبار لما يعاينه الناس من هذا الصوت العالي، لا أجد ما أقوله لك سوى أن أدعو عليك كما دعا كريم عبد العزيز على مدير المدرسة إياه "إلهي ربنا يضعف موقفك ليلة دخلتك يا بعيد" يمكن ساعتها تفوق (وتطلع من نافوخنا).

ثقافة البوس

"مين اللي اخترع البوسة؟"

كان هذا سؤال جانبي من أحد الخبثاء على هامش ندوة تتحدث عن السينما النظيفة (اللي هي من غير بوس) أو على تقدير الآخرين إنها السينما التي يأتي بها البوس في سياق الدراما.

ولأنني (ردودي دائماً جاهزة) زي ما المدام دائماً بتقول لي فقد ملت عليه مجاباً: "أكيد واحد كان زهقان من مراته الشكاية الرغبة فحاول يكتم بوقها وإيده ما كنتش فاضية فقفله بيقه فعجبتها الحركة وانبسطت وقرر من ساعتها يفضل يستخدمها كل ما يحب يستريح من رغيها".

ويبدو أن إجابتي قد راقّت للسائل الذي ابتسم وأكل خبثه متسائلاً: وانت بتحب تبوس؟

✓ البوس دا ثقافة يا ابني، ثقافة من الثقافات اللي بتختلف ما بين الشعوب في طريقتها وعاداتها، وبلدنا من أكبر البلاد اللي بتنتشر فيها الثقافة دي، وبينني وبينك أنا شاكك إن الثقافة دي أصلاً بدايتها كانت عندنا في مصر.

- يااه دا الموضوع مهم بقى وشاغللك.

✓ طبعاً يا ابني .. دا فيه علماء متخصصين في دراسة البوس.

- يا سلاااام!

✓ آه طبعاً وأهمهم مثلاً العالم (رافيل ولدرسكي) واللي عمل أبحاث ودراسات عن البوس وأشكاله وأنواعه وفوايده وأضراره في جامعة اكسفورد.

- ياااه فوايده وأضراره .. أضراره يا عم؟

✓ أنت ما تعرفش إن البوسة ممكن تكون سبب في موتك ولا

إيه؟

- آه طبعاً عارف، هو أنا عبيط، ما أنا لو نسيت أمسح الروح من على خدي بعد سهرة من إياها ومراقي قفشتني هاخذ لقب المرحوم على طول.

✓ روج إيه اللي مراتك هتقفشك بيه .. العلماء اكتشفوا إن البوس بيكون السبب في تبادل أكثر من ٣٠٠ نوع بكتيريا دا غير إن فيه فيروسات بتتنقل بالشكل دا زي الهريس مثلاً.

- الله أنا بحب الترمس.

✓ ترمس؟ !!

- أصل أنت ما تعرفش بيعدل نفسي قد إيه.

✓ يا عم صحصح بقولك الهريس.

- الهيبيرس .. الهيبيرس!! مش دي شركة الأوراق المالية اللي في الدقي باين .. دا بيقولك مرتباتها يا معلم بتوص—....
 ✓ هبقى أشوف لك شغله هناك .. يا عم والنبي ركز معايا بقولك الهريس .. الهريس فيروس، دا بيدخل على الخلايا العصبية ويعمل طفح جلدي ع الشفايف وعلى لا مؤاخذه أماكن مش حلوة خالص.

- يا نهار منيل، خلاص مش هبوس ثاني .. مش هبوس.
 ✓ مش هتبوس ازاي .. ما هوانت لو بطلت تبوس ولا حتى غيرت طريقة البوسة بتاعتك هتروح في داهية.
 - ليه بس؟

✓ العالم الشهير (توني ريمان) خبير لغة الجسد بيقول إن اللي متعود ييوس مراته من شفايفها كل يوم قبل ما يخرج دا بيدل على مدى حبه ليها، بس بمجرد أنه يبطل ييوسها أو حتى يغير طريقة البوسة دي ويستبدلها ببوسة على الخلد مثلاً فدا دليل على خيانة الرجل لمراته، وأنت عارف الباقي بقى.

- منك لله .. يعني أبوس ولا مابوسش؟
 ✓ هقول لك .. في دراسة ثانية بتقول إن الرجال اللي يحافظوا على تقبيل مراتهم قبل النزول للشغل بيعيشوا مدة تصل لخمس سنوات أطول، يعني عايز عمرك يطول يبقى تبوس على طول.

- طب إشمعني البشر اللي عندهم المشاكل دي، ما كل الحيوانات والطيور بيوسوا وعاشين وزى الفل لا خيانات ولا بتاع.
✓ حيوانات إيه وطيور إيه اللي بيوسوا دول؟.. أنت عمرك شوفت بطة فوق السطوح بتاعكوا بتبوس ذكر البط.

- أنا شوفت الأكبر من كدا يا بيه .. دا اللي شوفته خلاني شبه متأكد إن موضوع البوس دا هو السبب الأساسي في انتشار إنفلونزا الطيور عند الفراخ والنوشة عند الحمام.

✓ نوشة إيه وفراخ إيه؟

- ركز معايا وأنا هقول لك .. بعد تفكير وتدقيق ومراقبة اكتشفت إن فرد الحمام من دول يجيله فيروس النوشة وتلاقى رقبته إتلوت لتحت وبقى واد متني كدا ومش مضبوط، وبعدين يروح يقف بقى على ناصية العشة وكل ما يلاقي زغلوله حلوة معدية يروح ظارفها واحدة مشبك فينقلها المرض ويجب أجلاها على طول.

✓ يا عم مشبك إيه وحبل غسيل إيه بس.

- يا جاهل الكلام اللي بقولهولك دا كلام علمي .. انت ماسمعتش أغنية "ع الجدار ع الجدار .. والفرخة باضت ع الجدار والديك قاطرها ع الجدار".

✓ جدار؟ !!!!!

- أيوه يعني هو الديك كان قاطر الفرخة ليه ما أكيد علشان
 يبوسها وينشر المرض بقى، فعلاً أجدادنا مايقولوش حاجة غلط.
 ✓ يا عم يبوس إيه دا ديك .. دا أكيد كان عايز يكسرها.
 - يكسرها إيه .. تقصد البيض اللي ع الجدار يعني؟ .. لااا اللي
 زي دا أمره سهل، دا أكيد ديك عنده نقص كالسيوم ابقى حط له
 شوية جيرع الأكل وهيبقى زي الفل.
 ✓ يا عم انت عمال نتوهنا وتدخلنا في مواضيع ثانية مالهش
 لازمة.

- مواضيع ثانية إيه .. دا هو دا صميم الموضوع، يا باشا البوس
 دا سبب انتشار أمراض الإنفلونزا اليومين دول .. عايزين نسجل هذا
 الاكتشاف الخطير باسمي يا حداد.

✓ يعني انت بذكائك اكتشفت إن إنفلونزا الطيور بتنتقل بالبوس
 بين الطيور وماكتشفتش إن هما أصلاً ما عند هومش شفايف يبوسوا
 بيها .. يا أستاذ مناقيرهم لا تسمح بهذا العمل.

- ازاي بقى؟

✓ أساس البوسة هو ضم الشفايف وشفط هوا، ودي حركة
 مايعملهاش متقار لا فراخ ولا حمام ولا غيره.

- يعني ما اروحش بقى؟

✓ تروح فين؟!

- أسجل الاكتشاف.

✓ يا عم الله يخرب بيت الاكتشاف .. بقولك إيه أنا همشي قبل ما يجيني شلل.

- خلاص يا عم كمل كنت عايز تقول إيه؟

✓ عايز أقول إن البوس دا ثقافة.

- طبعاً ثقافة .. هو في فيلم ثقافي يخلو من البوس؟

✓ يا عم خرج القرف اللي في دماغك دا وخليك معايا، أقصد ثقافة من ثقافات الشعوب.

- مش موافق .. الثقافة دي تقولها على الحاجة اللي موجودة في أماكن ومش موجودة في أماكن تانية، لكن يا عزيزي الكل ييبوس .. العالم كله ييبوس.

✓ مش حقيقي .. تخيل إن فيه دراسة اتعملت سنة ٢٠١٥ أثبتت أن فيه ٤٦% بس من شعوب الأرض هي اللي بتبوس ودا معناه إن نص شعوب الأرض مش بتبوس ومش بس كده، دا فيه منهم مش بتعترف بالحركة دي أصلاً.

- طب وعلى رأي أحمد حلمي في عسل أسود "مش ييبوسوا خالص .. طب وعاشين ازاي كده؟".

✓ عايشين زي الفل ودا بياكد كلامي إن الموضوع دا مجرد اختراع تم انتشاره لحد ما بقت ثقافة ويرضه طالعة من عندنا في مصر.

- طب اشمعنى إحنا برضه، والموضوع مجرد بوس رومانسي ما بين حبيين وخلاص.

✓ لا مش خلاص .. لأنه تقريباً لما البوس الرومانسي عجب الناس، قرروا إنهم يستخدموه لأغراض ثانية، فبقى فيه بوس السلامة.

- إيه بوس السلامة دا كان؟!!

✓ بوس السلامة دا اللي بيستخدم في الترحيب أو التوديع وانت بتسلم على الطرف الآخر اللي بيكون من شفايف لحدود.

- طب ما دا عند الناس كلها.

✓ آه دا حقيقي .. بس عندنا بقى بيبين طبقتك ومنطقتك والبيئة اللي أنت عايش فيها كان.

- مش فاهم.

✓ يعني مثلاً طبقة الناس البيزنس بتبقى البوسة بتاعتهم مرة واحدة وخلاص وغالباً على الخد اليمين، أما النجوم والنجمات فيبوسوا معجبيهم ببوسة ع الطائر اللي هي تحط بوسة على إيدك وتتفخ فتروح للفانز بقى، أما عن سكان القاهرة مثلاً يبوسوا بوستين بمعدل

✓ ما هو برضة الموضوع موقفش عندنا لحد كده، فتلاقي مثلاً اللي يشكر ربنا بيبوس إيده وش وضره، والبيع اللي على باب شارعكوا كل ما يكسب فلوس ييوسها قبل ما يحطها في جيبه كنوع من الشكر على الرزق، ولو مسكت المصحف بتبوسه وتحطه على راسك كنوع من الارتباط بيه بينما لو لقيت لقمة في الشارع بتبوسها وتحطها جنب الحيط مين بيعمل كده غيرنا.

- الحقيقة مافيش.

✓ طب خد عندك المصريين الوحدين اللي أثبتوا إن البوس بيعالج الكدمات والجروح.

- نعم؟ !!!

✓ بص على أي أم لو حد من ولادها انخبط مثلاً، تلاقيها على طول تاخده في حضنها وتقوله "فين الواوا يا حبيبي علشان أبوسها لك" وتروح بايسه مكانها، المشكلة إنها بعد ما بتعمل كده الطفل بيضحك ويرجع يكمل لعب، البوس دا مخدر موضعي وعلاج هائل، ودا اللي أكدته الفنانة هيفا وهي في قصيدة الواوا لما قالت: "إليك الواوا بوس الواوا خلي الواوا يصح".

- لا مايصحش الحقيقة .. بس دا طلع علاج بقى.

✓ طبعا .. وخذ عندك الحقائق العلمية دي كان.

أولاً: اكتشفوا إن زيادة إفراز اللعاب أثناء البوس يمنع تراكم الجير أو البلاك على الأسنان، ودا طبعا يحافظ على صحة الأسنان ويحميها من التسوس.

ثانياً: تقبيل الزوج لزوجته الحامل في شهورها الأخيرة يزيّد من إفراز هرمون بذري مسؤول عن توسيع عظم الحوض واسترخاء رحم الزوجة ويسهل عملية الولادة.

ثالثاً: اكتشفوا أن البوسة العادية بتحرك عضلتين بس ولكن بقايا سيدي البوسة الرومانسية بتحرك ٤٣ عضلة ودا اللي يخلي البوس الرومانسي في الواقع هو رياضة للقلب، وبتخلي عضلاته وشرائينه تتمدد، فيسمح بمرور قدر أكبر من الدم مما يساعد على تقوية القلب وتنظيم شرايينه، دا غير إن البوسة بتحرق من ٢-٣ سعر حراري في الدقيقة.

- كل دا في البوسة؟

✓ يا ابني دا علم كبير اسمه علم ال (philematology)، بس المشكلة إن في بعض أنواع البوس اختلف عليه العلماء زي بوس العيون. فمثلاً العالم الكبير وموسيقار الأجيال الدكتور محمد عبد الوهاب اكتشف أن بوس العين تأثيره مثل تأثير السحر ممكن يفرق بين المرء وزوجه، لذا قال مقولته الشهيرة "بلاش تبوسني في عينيا دا البوسة في العين تفرق"، بس مع مرور الزمن والتقدم العلمي بقى

وخصيصاً في عام ١٩٩٩ اكتشف العالم الروماني الأستاذ مصطفى قران بوس العين يقرب مش ييفرق ودا اللي أثبتته في أغنية عينيك وحشاني لما قال "تعرف لو بوس عينيك .. هتحس بخوفي عليك".

- ياااه دا حتى الفنانين عملوا دراسات على الموضوع؟

✓ طبعاً .. دا بهاء سلطان عمل أغنية كاملة اسمها بوسه .. أعلن فيها بكل صراحة عن مدى اشتياقه لحبيبته وقال علناً كدا قدام الناس "ماعرفش ليه بغني لك .. هموت حبيبي أدليك بوسة"، دا غير (حكيم) اللي ركن الحكمة على جنب وطلبت معاها يبوس البت مهما حصل وقال "هجري عليه وأبوسه .. لو يعمل إيه هبوسه" اللي هو مش فارق معاها لا أداب ولا دياولوا.

- "هتباس يعني هتباس، هنقفل الباب بالترباس وتباس يا عباس".

✓ صح كدا يا مرسي يا زناقي ههههههه .. يعني م الآخر لو عايز تعبر عن أي حاجة بوس على طول

لو بتحب الرومانسية بوس الشفايف.

لو بتحب السلامة بوس الحدود.

لو بتحب الاحترام بوس الإيدين.

لو بتحب الإتيكيت بوس أعلى صوابع إيديها.

لو بتحب تنسهوك بوس كف إيديها من جوه.

لو بتحب الرضا بوس إيدك وش وظهر.

لو بتحب النظافة بوس النعمة وأركانها على جنب.

لو بتحب الرزق بوس الفلوس اللي بتكسبها.

لو بتحب الصلح بوس الراس.

ولو بتحب هيفا بوس الواوا.

- طب لو عايز أوصل لمدير الشغل بتاعي علشان أترقى أعمل

إيه.. أبوسه من بوقه؟

✓ كدة انت بتحب التطيل .. يبقى تبوس القدم وتبدي الندم

حتى لو ماغلطتش في حق الغنم.

- طب لو عايز أكون سياسي أو معارض أو ناشط مشهور أبوس

إيه.

✓ لا مش هتبوس .. في الحالة دي أنا اللي هبوس على راس

الست الوالدة علشان تسييني في حالي و(تطلع من نافوخي).

عربي مكسر

أكثر ما يزعجني ويحزنني بشكل كبير في مجتمعنا هو التمسك باللغات الغربية أكثر من لغتنا العربية بالرغم من كونها أجمل لغات العالم، وأصبح من سمات التقدم (والروشنة) أن يكون نصف حديثك باللغة الأجنبية، هذا بالإضافة إلى اختراع الفرانكو أراب والذي انتشر في كلامنا على الشات.

المشكلة الأكبر عندما تجد بعض الأسر وأولياء الأمور يفتخرون بأن أولادهم يتكلمون العربي المكسر، يشوبني إحساس بأن أعلق هذا الأب على أقرب حائط من "قفا قميصه" ولا أتركه حتى وإن بان له أصحاب حتى يجيبني عن سؤال واحد: "عمرك شوفت طفل في إنجلترا يتكلم إنجليزي مكسر، ولا أسرة في فرنسا بتفتخر إن ابنها يتكلم فرنساوي نص نص؟".

المشكلة إننا اعتبرناها شيًا وتقدم حتى وإن قيل بتلك اللغة كلمات خارجة عن سياق اللياقة والأدب، فلا نتعجب إن قابلت فتاة تبدو عليها التربية وشكلها بنت ناس وتلفظت بشتيمة أو بأخرى أمام أهلها ولم تجد منهم أي رد فعل أو اعتراض، بل وتجدهم سعداء وفخورين لأن بنتنا عقبال عندك مثقفة وبتشتم بالإنجليزي، قال يعني

الأباحة لما يقال بالإنجليزي ربنا هيعتبرها شيانة ولباقة ومش هناخد عليها ذنوب. وكأن سوء الأدب لا يكمن في التلفظ بكلمات أو عبارات خارجة وإنما يكمن في الطريقة أو اللغة التي تقال بها تلك الألفاظ.

يبدو أننا نسينا أو تجاهلنا أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسبنا على شكل الفعل وإنما الأعمال بالنيات، فنحن نحاسب على نية الفعل، فالشتيمة ستظل شتيمة وقلة أدب وعيب أيًا كانت اللغة التي تقال بها حتى لو كانت لغة غير متكلمة مثل الإيحاءات أو الإشارات أو حتى بالموضة الجديدة والتي هي (الشتيمة بكلكسات العربيات).

من أوائل أهداف أي استعمار لإحكام السيطرة على مستعمره أن يجرده من لغته، لن أقول لك اقرأ في التاريخ ولكن انظر حولك وقل لي كم من دولة على مستوى العالم أيدت لغتها ولا زالت برغم استقلالها منذ عقود تتحدث لغة المستعمرين، بينما على مدى سنوات طوال لم يستطع أي من الاحتلال الفرنسي أو الإنجليزي أن يحول بيننا وبين لغتنا الأم، بل إنهم رحلوا عن بلادنا وقد حولت (الجود باي) و(الأوريفوار) إلى (ماالسلامة يا خبيبي)، ولكن لأننا في بلد يستعجب من شعبها العجب فإننا نفعل في أنفسنا ما لم يحلم المستعمر يوماً أن يفعله، نحن من يستغنى عن لغته وثقافته وأصول دينه ودستوره من أجل اللهث وراء الشياكة والتقدم المغلوط من غير

لا إحم ولا إكسكيوزمي. هذا التلهف هو أحد أهم أسباب ما وصلنا له نحن العرب من هذا الضعف والهوان، فقد وصل بنا الحال أن نحول كل واحد فينا من مواطن عربي أصيل إلى (عربي مكسر) دون أن يدري.

جميل ورائع أن نتقن لغات أخرى وتعرف من ثقافات بلادها ما له من فائدة لك ولبلدك، بينما التخلي عن لغتك الأم هو التخلي عن أصولك وجذورك، وأوراق الشجر التي تتخلى عن أصولها ليس لها مستقبل إلا تحت أقدام المارين، لغتك هي هويتك وعنوانك اللذان لا يمكن التخلي عنهما في أي مكان، فكم ممن تخلى بإرادته عن هويته وأصوله فكان في استقباله أرصفة الطرقات.

عزيزي القارئ إن قابلت أحدهم يوماً وقد تفاخر أن أولاده لا يجيدون اللغة العربية إلا مكسر، فلا تقل له سوى جملة واحدة (اطلع من نافوخي).

خليهم .. يمكن نترنق فيهم

كأي زوج طبيعي دخلت المطبخ لعمل كوب شاي، فتحت إحدى الدرف العلوية باحثاً عن السكر وإذا بزجاجات تهوي على رأسي، تسمع زوجتي من الخارج صوت ارتطام شديد وزجاج ينكسر فصرخت فزعاً: "إيه اللي اتكسر في الزفت المطبخ اللي أنا لسا مروقه"، لجابقتها وأنا أتألم وأنزف: "فتحت درفة المطبخ الأخيرة .. قاطعتني بصرخة فزع من نوعية: "يا لهوي".

فأكلت مطمئناً إياها: "ما تخافيش أنا كويس دا جرح بسيط في دماغه..".

قالت مقاطعة: "كسرت البرطمانات اللي أنا اتهد حيلي في رصها".

قلت متعصباً: "وأنا اللي فاكرك بتصرخي علشان خايفة عليا، برطمانات إيه وزفت إيه". دخلت عليا غاضبة فأصلحت نبرتي قائلاً: "إنتي أصلاً محتفظة بكل البرطمانات دي ليه؟"، قالت متعصباً ونظرها تجاه البرطمانات المكسورة على الأرض: "علشان أحط فيها التوابل اللي بعمل لكم بيها الأكل بتاعكوا".

- توابل إيه دي اللي بتبلي لها برطمانات من البلد بحالها، دا البرطمان اللي راشق في دماغى ده تاريخ الصلاحية بتاعه منتهى مع العصر البطلمى والتانى عليه إهداء للملك فاروق بمناسبة عيد ميلاد ابنه الأكبر يا بعيدة.

أخيراً نظرت لي وقالت: "طب ابقى خلى الملك فاروق يأكلك انت وعيالك بقى"، ثم جلست تنظر لقطع الزجاج وكأنه حلم عمرها الذي تهدم، تعصبتُ وعلا صوتي: "مش عايز آكل خالص وسايب لك البيت ونازل".

لاحقتني بفزع: "لا .. استنى .. رايح فين".

فقلت لنفسى: "كنت متأكد إني مش ههون عليها"، رديت وأنا أمثل الغضب: "ما قولت لك سايب البيت وخارج".

فقلت: لا .. ادخل الحمام اغسل راسك الأول علشان الدم ماينقطش ع السجاجيد اللي ضهري اتقسم في غسيلها ودعكها.

- "ارحمي يا رب"، قلتها ثم انطلقت نحو الباب فجاءني صوتها من الداخل "ماتنساش تاخذ كيس الزباله معاك وأنت نازل".

خرجت من بيتي وأنا أفكر في شيء واحد فقط، لماذا تحتفظ زوجتي بكل هذه البرطمانات الزجاج دون فائدة، بل لماذا تحتفظ كل الزوجات عموماً بها، أعلم جيداً أن هناك مرضاً نفسياً معروفاً

بالغرب يسمى (الاكتناز القهري) هذا المرض الذي يجعل المريض مقبلاً دائماً على الاحتفاظ بكل أشياءه حتى الجرائد والمجلات القديمة بداعي أنه بالتأكيد سيحتاج إليها وهو ما يجعل غرفهم تتحول إلى مقلب من الأشياء القديمة التي نتكدس لدرجة أنه لا يجد مكاناً له ينام به.

ولكن ما يحدث في بيوتنا جميعاً لا يمكن أن يكون هذا المرض، أو أننا استدرجنا هذا المرض في بلادنا وقمنا بتجنيسه وترويضه كما يحلوا لنا فحولناه إلى ثقافة تعم بيوتنا وديكوراً نشترك فيه جميعاً دون أن نتفق.

فمثلاً بواقي صابون الوجه، كان أجدادنا قديماً يجمعونها للاستخدام في مرحلة (الغلية) للغسيل وكانوا يسمونها "بروة" ذلك في عصر الغسيل اليدوي بالباجور وعصا الغلية، ولكن لماذا ونحن في عصر الفول أوتوماتيك ما زالت تلك القطع تزين صابانات البانيو في جميع حماماتنا.

وماذا عن فرش الأسنان القديمة لماذا نصر على تركها فوق أحواضنا بالرغم من تركها واستبدالها بأخرى جديدة مثلها كمثل المساحة القديمة المكسورة التي لا زالت تعاني الوحدة بجوار الحوض. أما عن البرطمانات الزجاج التي فتحت نفوخ سعادتي فهي ليست الشيء الوحيد القديم في مطابخنا ولكن عزيزي القارئ انظر

حولك، فزجاجات المياه الغازية والصابون السائل وعلب الشامبو الفارغة لماذا تتركهم تحت تقفيلة حوض المطبخ منذ سنوات، ثم تشتكي ربة البيت بعد ذلك من الحشرات الزاحفة التي لا تعرف (يبيعوا منين دول رغم إنها يا حرام طول النهار بتنظف ومش مخلية قشاية) هذا بالإضافة إلى سلك المواعين المصدي بجوار خلاط مياه المطبخ، ثم العلب الكارتون وكراتين البيض الفارغة المرصوفين فوق سطح الثلاثة.

بمناسبة الثلاثة عزيزي القارئ، إذا اقتربت منها يوماً وسمعت صوت أنين يصدر منها فأرجوك لا تفزع إنه صوت نص الليمونة الناشف الكائن بإحدى فتحات درج البيض والتي تصر كل ست بيت على تركها دون سبب معروف ربما نوع من التفاؤل أو اعتقادهم أنها تمنع الروائح والأرواح وعين الحسود مثل الخمسة وخميسة، لذا أرجوك عزيزي القارئ رحمة منك بهذا الفص المغلوب على أمره أن تأخذه في غفلة من ست البيت وتكفنه في أي منديل ورق وترميه لأن العصر في الميت حرام وإكرام المعصور دفنه داخل سلة النفايات.

أدعوك الآن لنخرج من المطبخ لكي تشرح لي أسباب احتفاظنا بالبطاريات القديمة الخاصة بألعاب أطفالنا وريموتات الأجهزة المختلفة داخل أدراج الكمودينو والجرائد القديمة التي اصفر

لونها داخل البوفيه. أما عن البلكونة الصغيرة فحدث ولا حرج عن عريية الأطفال القديمة المكسورة والتي تعد من أهم ملامح بلاكوناتنا والتي تحوي الكثير من التفاصيل من التراب المخلوط بقشر البصل ورأس الثوم الساقطة من الرابطة المعلقة على الماسورة الخلفية وسلك التليفون القديم ولعب الأطفال القديمة المكسورة والتي من أهمها على الإطلاق رأس العروسة المكسورة والتي تنزعك دوماً بمجرد دخولك إلى البلكونة فتجدها (مبرقالك) من العريية ويا ليتها سليمة فلا بد دوماً تجدها بعين واحدة ومخرومة أو طالعة لبرة أو متشالة خالص ذلك حسب حفظها مع دكتور التشريح الذي كان يستخدمها.

أعرف أنهم أطفال ومن حقهم يلعبوا ويستكشفوا ولكن أي حق ذلك الذي يسمح لنا أن نوافق على أن مرززي القمر مثل إيلسا وباربي وصوفي وفله يتم تشويههم بهذا الشكل ونحولهم لزومبي بدون جسد، ونزج نزع من العنف ضد المرأة وتتعجب من انتشار تجارة الأعضاء بعد ما خيلنا أطفالنا يعملوا كذا فيهم ويخلوا كل لا مؤاخذه عضو منها مرمي في حطة لوحده بهذا الشكل، إيه يا جدعان ما عندكوش اخوات بلاستيك .. ولا حتى سيليكون؟

وحتى لا تشعر بالملل مني فلن أكمل حديثي معك عن زجاجات طلاء الأظافر والبرفيوم التي تملأ أدراج تسريحة سعادتك ولن أتحدث عن علب الشوزات والصنادل المرصوفين في أرضية الدولاب.

وإن كنت صاحب ملك ولديك بدروم أو جراج فلن أحدثك عن العجلة القديمة ولا البطارية والإطارات التالفة، دا بخلاف جراكن الزيت الفارغة.

المشكلة أن تلك العادة المتوارثة بيننا بدأت تطفو على السطح لدرجة أن في ثورة ٢٥ يناير وخاصة في جمعة الغضب عندما صعد البلطجية فوق أسطح العمارات المحيطة بالميدان وبدأوا في رشق المتظاهرين بقطع السيراميك وبواقي الأحواض ومقاعد الحمامات مما أصاب العديد من المتظاهرين بجروح شديدة وخطيرة وكان يوماً دموياً، أفردت بعض الصحف العالمية مقالات تتساءل بكل استغراب وتعجب: لماذا يضع المصريون حماماتهم فوق أسطح المباني؟ رأيتم ما حدث .. أهى عاداتكم غير المفهومة فضحتنا قدام الأجانب، هل يعتقدون الآن أننا نحب قضاء حاجتنا في الهواء الطلق، وكيف سأصحح لهم هذا المفهوم؟، كيف سأقول لهم أننا كان من المفترض أن نرميهم ولكننا غيرنا رأينا وقولنا: نخليهم .. يمكن نتزق فيهم.

لا بد وأن نترك تلك الثقافة التي تستوطن بيوتنا وتعشش فيها، ولا تسألني كيف اشتبكنا في نفس تلك الأشياء دون أن نتفق، إذا أردتني أن أجيب عليك فقل لي أولاً كيف اتفق جميع بائعي الفول على نفس شكل العربية ونفس ألوانها وكيف اتفق بائعو الجاز أن

يكون نداؤهم جرساً، وبائعو أنابيب البوتاجاز على طرق الأنابيب
بمفتاحها وبنفس النغمة كل هذا قبل عصر السوشال ميديا والمحمول
وحتى قبل وجود التليفونات الأرضية، فلو لديك إجابة أرجو أن
تفيدني بها لعلني أعرف من ذا الذي أقر وأصدر بياناً على جميع أنحاء
البلاد قديماً ليشرط علينا أن أنسب كلاكس في زفة العروسين
بالسيارة هي (تبييت تبييت .. تت تت تبييت) فلعله يقر لنا نغمة
أخرى غير تلك النغمة (بنت التبييت) أو يلغيها أو يقر طريقة تجعلها
(تطلع من نافوخي).

- (الفصل الثالث) -

کراکيب

المرحومة عملتلي لايك

لاحظت في الفترة الأخيرة أثناء متابعتي لموقع التواصل الأول في عالمنا الحديث (الفايس بوك) العديد من التدوينات المتشابهة في مضمونها والتي أصابتني بالدهشة.

ذلك أن تلك التدوينات تعبر عن مدى احتياج صاحبها واشتياقه لوالديه (أحدهما أو كليهما) وخاصةً إن كان الوالدان في سفر منذ فترة أو أنهما قد توفاهما الله.

وأسمعك الآن عزيزي القارئ وأنت تسأل وما المدهش في ذلك؟ لم يكن اندهاشي أيها القارئ العزيز من التشابه الموجود في الكلمات أو شكل أو حتى مضمون التدوينة وإنما تأتي دهشتي من التشابه الكبير في الحالة الاجتماعية والعاطفية لأصحاب هذه التدوينات.

فهم غالباً من الفتيات اللاتي يعانين من فراغ عاطفي كبير، ذلك الفراغ الذي يأتي نتيجة أحد سببين:

أولهما: هو الخروج من تجربة عاطفية قاسية قد أملت بصاحبة التدوينة وتركت بقلها جرحاً كبيراً، أما السبب الثاني هو الملل الشديد

من تأخر فارس الأحلام الذي على ما يبدو أن فرسه قد شرد به في زحام طرقات بلدنا الحبيب.

ولن أخفيك سرّاً عزيزي القارئ أنه أحياناً .. بل كثيراً ما تصدر تلك التدوينات والبوستات أيضاً من تلك الزوجة العاطفية والمحبة لزوجها والذي انشغل عنها نظراً لظروف الحياة الصعبة.

اختلفت الأسباب والنتيجة في النهاية واحدة .. وهي إصابة القلب بنقص شديد في مشاعر المشاركة الوجدانية والعاطفية والتي قد يصل أحياناً لحد الجفاف.

نعم يا صديقي فالقلوب كالورود تحتاج دائماً لأن تكون مبللة بماء الود والمحبة، ذلك الماء الذي يأتي دائماً عن طريق نهر واحد يسمى التواصل والمشاركة الوجدانية.

فتلك التدوينات والمنشورات هي بمثابة إعلان غير مباشر من صاحب التدوينة عن إحساسه بالفراغ العاطفي ولو حتى أثناء اللحظات التي يكتب فيها تدوينته.

وبالطبع أنا لا أقصد بكلماتي هذه التقليل من مشاعرهم تجاه آبائهم وأمهاتهم أو أن يفهمني بعض الناس خطأ أنني أتهمهم بالتجارة بظروفهم الاجتماعية من أجل البحث عن الحب من خلال مواقع الإنترنت، أؤكد لك عزيزي القارئ أنني هنا أتكلم عن الفتيات اللاتي لا أشك لحظةً في أخلاقهن وسلوكهن الرفيع.

فالسيدات من البنات لا يتعرضن غالباً لتلك الحالة فهن لا يتأثرن كثيراً بالفراق عن الحبيب لأنهن غالباً ما يجدن غيره سريعاً. ولكنني هنا أتكلم عن تلك الفتيات والسيدات الطاهرات اللاتي استبدلن مشاعر الاشتياق للحبيب بمشاعر الاشتياق للوالدين التي هي من أظهر علاقات الحب على المستوى الإنساني.

وأريدك عزيزي القارئ أن تفكر معي قليلاً ... في اعتقادك ماذا كانت تنتظر هذه الفتاة بعد أن كتبت مثل تلك التدوينة على صفحتها الخاصة؟ ، هل تنتظر مثلاً "لايك" من أبيها (الله يرحمه)؟ أم أنها تنتظر "كومت" من والدتها (اللي هي الله يرحمها برضه)؟

لك أن تتخيل أن تقوم البنت بكتابة "البوست" ليلاً وتنام دمعها على خدها ثم تقوم صباحاً ملقية نظرة على صفحتها فتجد الحاجة والدتها - الله يرحمها - عاملة لها "كومت" بتقولها فيه: "وانتي كمان وحشتيني قوي يا بنتي تعاليلي بقى علشان أخذك في حضني" ..

لن نستغرب وقتها أبداً إصابة البنت بصرع أو تبول لا إرادي على أقل تقدير.

إذن ما الشيء الذي ينتظره أصحاب هذه "البوستات"؟ .. هم يريدون الشعور بأن هناك من يقف بجانبهم ويهتم بأمرهم وهو بالطبع ما يجدونه في تعليقات الأصدقاء من دعاء ومواساة وتصبير، فهي في

أشد الاحتياج إلى أن يشاركها أصدقاؤها مشاعرهما وأن يملؤوا عليها وحدتها .. مش كذا ولا إيه؟

والدليل على كلامي أن الذين لديهم نفس الظروف العائلية ولكنهم يمرون بحالة عاطفية مستقرة غالباً لا يكتبون مثل تلك العبارات، وحتى أصحاب التدوينات السابقة أنفسهم لم يكتبوا تلك التدوينات في الأيام التي عاشوا فيها حالات عاطفية مستقرة وسعيدة. الغريب أيضاً أن أبطال مقالتي هذه عندما يكتبون تلك التدوينات يكون شعورهم أن الدنيا من حولهم أصبحت فضاءً مظلماً لا يملؤه شيء، وسرعان ما يتلاشى ذلك الإحساس وتضيئ الدنيا بتعليقات و"كومنتات" الأصدقاء وكأن الدنيا أصبحت من حولهم وبين أيديهم.

تخيل .. المشاركة بمجرد كلمة طيبة على موقع التواصل يحول ظلام إنسان إلى نور، والوحدة إلى مشاركة، والحزن إلى سعادة، فما بالك إذا كانت تلك المشاركة من خلال مكالمة تليفونية ماذا سيكون الحال؟

وتخيل أيضاً حال هذه الفتاة الوحيدة بمشاعرهما إذا دق بابها الموصد (بترباس) الوحدة لتجد أمامها أصدقاءها الذين أحسوا بها وذهبوا إليها ليقوموا باحتوائها وليمملؤوا عليها وحدتها، أنا متأكد من أنه

حُب أكتوبر ٧٣

قبل أن أبدأ الحديث معك عزيزي القارئ أرجو أن تتحمل
بواختي وغلاستي وتعود إلى العنوان وتقرأه مرة أخرى.
بالضبط كما قرأته .. (حُب أكتوبر ٧٣) لا يوجد أي خطأ
مطبعي، للأسف تلك هي الحقيقة المرة التي يصدرها لنا الإعلام منذ
أكثر من ٤٥ سنة.

مصر لم تكن في حالة حرب بل كانت في حالة حُب، ألاحظ
الآن استغرابك مما أقول وقد يساورك الشك أن كاتب هذه السطور
يريد التقليل من هذا الحدث الكبير ولكن أمهلني لحظات حتى أوضح
لك مقصدي.

تعال معي نعود معاً بذاكرتنا (فلاش باك) لأفلامنا التي تكلمت
عن حرب أكتوبر المجيدة خلال السنوات الكثيرة السابقة، ولكن
قبل ذلك أود أن أهنئك أولاً لأنك قرأت كلمة حرب هذه المرة
بشكل صحيح.

لو راجعنا معاً جميع الأفلام التي تحدثت عن حرب أكتوبر
سنجد مشهداً رئيسياً مشتركاً ما بين كل تلك الأفلام والمشهد كالتالي:

شمس الظهيرة ترمي بنورها على أبواب قهوة شعبية في حارة شعبية بحي شعبي ويملؤها أناس شعبيون، نتعالى من داخلها أصوات الضحكات مختلطة بصوت الملاعق التي تداعب أكواب الشاي والبندق والينسون ولا يعلو عليهم سوى صوت طرقات الطاولة تلك اللعبة الشعبية الأولى على مستوى مقاهي مصر، بينما يتخللها صوت الواد "صا صا" القهوجي وهو يقول:

"وعندك واحد شاي في الخمسينة للمعلم بيومي العترة وصلحه".

فجأة تتحول الكاميرا لراديو قديم مربوط من منتصفه بخيط سميك أبيض غامق يطلق عليه (دوباره) ومتشعلق ع الحيطه بشكل يشعرك للوهلة الأولى أن هذا الراديو الحزين واخذ حكم بالإعدام في حادثة دنشواي .. هذا الراديو الذي لم يكن له حس ولا خبر منذ بداية المشهد، فجأة وبدون سبب معروف تدب فيه الحياة من جديد وينطق المذيع من داخله بصوت قوي ومجلجل: "أيها السادة إليكم البيان التالي"، وهنا يعم الصمت المكان ويترك الناس اللعب ع المشاريب ويتركون المشاريب ذات نفسها كأن ويتجهون بأبصارهم إلى الراديو، غير أن مجموعة من الجالسين تركوا أماكنهم وتحركوا بعض الخطوات باتجاه الراديو مبجلقين فيه وكأن الصورة في الراديو مش واضحة أو أنهم يتعجبوا من ذلك المخلوق الإليكتروني الذي نطق ودبت فيه الحياة وهو الذي كان ميتاً لا يسمع له حس منذ قليل.

أن يضع (التاتش بتاعه) في نهاية الفيلم، فالأفلام عزيزي القارئ كانت كالتالي:

أولاً: يرفع الستار عن قصة حب ما بين بطل الفيلم والذي بالطبع هو أحد أفراد الجيش المصري ما قبل الحرب.

ثانياً: يتم استدعاء البطل للجيش مع توجس البطلة خيفةً حيث ينتابها شعورٌ أن تلك المرة ليست كسابقتها من المرات مع حضن خفيف كذا من البطل.

ثالثاً: تأتي ساعة الصفر وصور مكررة في كل الأفلام من مشاهد تسجيلية للحرب ويجب أن تبدأ بالطبع بالضربة الجوية.

رابعاً: وهذا هو الجزء المخصص لخيال صناع الفيلم ولهم الحق في الاختيار ما بين (موت البطل - البطل رجع واتجوز البطلة - البطل اتشل بعيد عنكوا من الخضة وقطعوا له رجله)

خامساً: يسدل ستار الفيلم بكلمة النهاية وكل عام وحضراتكم طيبين.

تخيّلوا حضاراتكم .. أكثر من ٤٥ سنة عدت على حرب أكتوبر، تلك الحرب التي تحمل تخطيطاً وتحضيراً وكواليسَ وبطولاتٍ تصنع أربعين فيلماً مش فيلم واحد ومع ذلك لا نملك فيلماً واحداً يتحدث عنها بما يليق بقدرها وعظمتها.

الآن أسمعك عزيزي القارئ وأنت تقول أن الموضوع ليس بهذا السوء وأن كاتب هذه السطور من أصحاب الأقلام السوداء والتي تحب التشويه والتضليل مع التهويل طبعاً، والدليل أن هناك الكثير من الأعمال التي يشار لها بالسبابة ولها رونقها وجودتها.

فعلى سبيل المثال وليس الحصر هناك مسلسلات رائعة مثل (رأفت الهجان - دموع في عيون ورقة - السقوط في بئر سبع - الصفعة والعميل ١٠١) هذا بالإضافة إلى سلسلة الأفلام الرائعة والتي منها (الطريق إلى إيلات - إعدام ميت - يوم الكرامة وأخيراً فيلم الممر) .. دا طبعاً غير الأفلام الأسطورية لنجمة الجماهير نادية الجندي تلك النجمة التي عانت الأمرين وتألّت كثيراً أثناء (مهمة في تل أبيب) حتى أنه يقال أنها اضطرت لإعادة عمل المونوكير والباديكير أكثر من مرة بعد عمليات التعذيب التي شهدتها بالفيلم.

وبصرف النظر عن المستوى الفني لتلك الأعمال والتي من بينها أعمال لا خلاف على جودتها وأنها في قمة الروعة، إلا إنها جميعاً لم تتحدث عن حرب أكتوبر وإنما تحدثت جميعها عن عمليات استخباراتية وعسكرية تمت أثناء حرب الاستنزاف تلك الفترة التي سبقت حرب أكتوبر بفترة.

أكثر من ٤٥ سنة مرت على أكبر معركة ونصر في تاريخ مصر الحديث بل وفي تاريخ العرب أيضاً ولم نجد فيلماً يحكي لنا كيف تمت تلك الحرب وكيف كان التخطيط والتجهيز والترتيب لها، كيف تم تنظيم الخطوط وكيف مررت التوجيهات والتعليمات للخطوط المختلفة على أرض المعركة.

لم نجد فيلماً واحداً يحكي لنا البطولات الفردية والجماعية والتي ما زال العديد من أبطالها يعيشون بين أيدينا ويمكن أن يحكوها لنا ويحكوا لنا عن أبطال ضحوا بأرواحهم من أجل أن نعرف نحن معنى العزة والكرامة.

كنوز من الحكايات والإنجازات والانتصارات تركها هؤلاء الأبطال لأهل جيلهم من الإعلاميين والمثقفين لكي يحتفظوا بها ويوثقوها، فبدلاً من أن يصدروها لنا ولأبنائنا صدروا الطرشة، وما كان منهم إلا الإهمال الشديد والتفريط الغريب وغير المفهوم على جميع المستويات من السينما والتلفزيون وحتى الكتب الدراسية وقصص الأطفال التي اختصرت الحرب كلها في كلمتين فقط ظلوا يرددونها على أسماعنا ليلاً نهاراً طوال السنوات السابقة، ألا وهي (الضربة الجوية) والتي بالطبع لم نجد بطلاً فيها غير (صاحب الضربة الأولى) ويا ليتهم حتى صنعوا فيلماً حقيقياً محترماً يحكي لنا أبعاد أبطال تلك الضربة وكيفية تحقيق أهدافها وبطولاتها إلا أنها أيضاً لم

تسلم من التشوية والتسفيه تحت أعين قائدها وتم اختصارها في شوية أوبريتات من نوعية "أول طلعة جوية فتحت باب الحرية وعلشان كذا إحنا اخترناه".

هكذا هي حرب أكتوبر كما علموها لنا ولأبنائنا، على مدى أكثر من ٤٥ عاماً ونحن نحتفل بحرب لا نعرف عنها شيئاً سوى الضربة الجوية فقط ولم نجد عملاً واحداً حقيقياً يكرم أبطالها وينقش قصصهم في صدورنا وفي صدور أجيال قادمة لا يجدون مصدراً لمعلوماتهم سوى صفحات السوشيال المشوهة والموجهة.

أما آن الأوان لكي نعرف ويعرف أبنائنا حرب أكتوبر على الوجه الصحيح، ويعرف كيف كان الشعب المصري يشاق لتلك اللحظة التي يتخلص فيها من عدو غاشم احتل الأرض وقتل العمال في المصانع والأطفال في مدارسهم ليظهروا بعدها على مرأى ومسمع من العالم وهم يضحكون ويشربون نخب الانتصار في قتل أطفال ماتوا دون أي ذنب.

فيا كل قائم على الفن في بلادنا، إما أن تصنع لنا فناً حقيقياً يظهر لنا أجدادنا أو لتصمت و(تطلع من نافوخنا).

ويا كل مهتم ويا كل محب لهذا الوطن ادعُ معي أن يرزقنا الله
 بمسؤولين يقدِّرون معنى إعلاء الكرامة والعزة فوق المصالح الشخصية
 وادعُ معي على كل من اختزلوا الحرب في الحب أو في الضربة الجوية
 أن (جاتهم ضربة جوية في دماغهم تجيب لهم جرب في قاع المنخ ما
 يوعوا يهرشوا البُعدا) قولوا آمين.

وريني عرض هتافك

(انزل)

(عيش حرية عدالة اجتماعية)

(الشعب يريد إسقاط النظام)

(ارحل)

أربعة هتافات شكلت أربع مراحل قامت عليها ثورة يناير، وأربعة عناوين لأربعة فصول في كتاب يسمى ثورة يناير. لا خلاف أن ثورة يناير بكل تطوراتها ونتائجها كانت مفاجأة، سواء كنت تراها ناجحة أو في طريقها للنجاح أو حتى إن كنت تراها فاشلة، مفيدة كانت أم غير ذلك، المهم أننا متفقون على أن ثورة يناير كانت مفاجأة مدوية ومن العيار الثقيل وقد أسفرت عن نتائج غير متوقعة في حينها.

تلك الثورة التي أظهرت لنا ولأول مرة قوة جديدة لم نكن نعرف عنها شيئاً من قبل، قوة استطاعت بها الشباب الأعزل أن يزلزل كيان مسئولين لم يزلزلهم حتى زلزال ١٩٩٢.

تلك القوة الخفية التي استطاعت أن تسقط نظاماً بأكمله وتجبر القوة البوليسية العنيفة في هذا التوقيت على التراجع أمام الشباب

الذي لم يكن يملك غير سلاح واحد ولا شيء غيره .. هذا السلاح اسمه (العتاف).

فهل للعتاف ذلك التأثير الذي يغير أنظمة دول ويغير مسارات شعوب؟ .. هذا هو السؤال الذي طالما أوقفني وأخذ حيزاً لا بأس به من التفكير، فكثيراً ما رأينا مسيرات ومظاهرات وبها العديد من العتافات المختلفة دون أي تأثير يذكر، فلماذا زلزلت العتافات هذه المرة تلك الكيانات الصلبة وسمعتهم كل حرف بها وقد كانوا من قبل ذوي آذان صماء.

أعلم عزيزي القارئ أنك تمتلك ذاكرة جيدة وأنتك حتماً لم تنس أن ثورة يناير بدأت بمسيرات صغيرة يخرج من جوفها عتاف واحد فقط .. عتاف مكون من كلمة واحدة لا غير (انزل) ...

(انزل) هو العتاف الأول الذي بدأت به الثورة، (انزل) لم تكن مجرد كلمه بل مطلب، مطلب من الشعب المنادي بالتظاهر إلى الشعب المنتظر في المنازل. (انزل) تلك الكلمة التي صدقها واستجاب لها مئات الآلاف من المصريين وقاموا بالنزول والانضمام للمسيرات المتوجهة إلى ميدان التحرير وما يوازيها من ميادين أخرى في جميع محافظات الجمهورية ليجتمع الملايين في المحافظات بسببها، ويتكاتف الشعب بجميع فئاته جنباً إلى جنب، وكتفاً بكتف، وقلباً على قلب، وروحاً مع روح.

(انزل) كانت مجرد كلمة ولكن أحسها كل من سمعها على إنها واجب وطني ونداء يجب تلييته، خرج الشعب الذي قيل أنه لن يتحرك حتى ولو تحرك أبو الهول، تحرك بفعل كلمة (انزل).

بعدها ظهر الهمتاف الثاني للثورة، وهو في نفس الوقت المطلب الأول من قلب الميدان والبيان رقم واحد من الشعب المصري الغاضب إلى النظام الحاكم (عيش .. حرية .. عدالة اجتماعية)

وبالرغم من أن العيش والحرية والعدالة الاجتماعية هي مطالب عادية وعادلة وليس بها أية رفاهية، بل هي الحد الأدنى لكرامة المواطن في وطنه، إلا أن قوتها وتركيزها جعلتها طبول خطر تدق على أبواب الحكام وزلزلا تهتز له الأرض من تحت عروشهم وأمواج تسونامي يمكنها أن تقلب جميع الكراسي على رؤوس أصحابها، فبدلاً من إرضاء الشعب بمطالبه العادية يمكن القول أنهم استكثروها على الشعب فأنت الريح بما لا تشتهي السفن وقابل النظام المتظاهرين بعنف وبضرب وسحل وقتل بل ودهسهم أيضاً تحت عجلات سياراتهم المصفحة.

ولو خرج علينا الرئيس في ذلك الوقت ببيان أكد فيه أنه استمع جيداً لمطالب هؤلاء الشباب وأنها مطالب مشروعة وقام باتخاذ قرار إقالة الحكومة وتحويلهم للتحقيق لتغيرت جميع الأمور وتحولت

المظاهرات من غضب إلى مظاهرات فرحة ولوجدنا الرئيس محمولاً على الأعناق.

ولكن يبدو أن النظام كان قد تعود فقط على الحلول القمعية أو لا يعرف غيرها في إنهاء الأمور، أو اعتبروا المطالب تجرؤاً عليهم، فكيف يهاجمهم الشعب وكيف يخالفهم في الرأي.

مطالب عادية أحسوها بقلوبهم المشوهة أنها طبول الحرب عليهم وعلى مناصبهم وكراسيهم فردوا بحرب كانوا هم الخاسرين فيها بالرغم من أن الفائز طرف مغلوب على أمره وأعزل.

مع كل هذا القمع والوحشية التي فوجئ بها وواجهها المتظاهرون لمجرد أنهم طالبوا بأقل حقوقهم من أجل حياة كريمة، عرفوا وأيقنوا جميعاً في هذه اللحظات أن النظام يريدهم كما هم لا رغداء في العيش، لا مخالفة للأوامر، ولا كرامة لهم أيضاً.

هنا وتحت سقف من سحب الغاز المسيل للدموع وبين حوائط من الغشم وأمطار الخرطوش أيقنوا أنه لا مناص إلا لخلص، ولا تحرير إلا بالتغيير.

فأطلقت جميع الأفواه مطلباً واحداً (الشعب يريد إسقاط النظام) لتأخذ المظاهرات منحنيً جديداً على طريق الحرية من القمع.

(الشعب يريد إسقاط النظام) هو الهتاف الذي يمكنك أن تعتبره عزيزي القارئ البيان الثاني من الشعب للنظام ومعه تحولت المظاهرات من مجرد شكل من أشكال الاعتراض إلى ثورة حقيقية. العند والتجاهل واللامبالاة جعل (الشعب يريد إسقاط النظام) هو البيان الرئيسي والمطلب الرئيسي لثورة يناير. وهو الهتاف الذي حول المتظاهرين من موقف المدافع عن نفسه إلى المهاجم من أجل التغيير، ومعه غارت قوى الشعب وخارت قوى الشرطة وفي لحظات يشوبها الغموض انسحبت واختفت القوى البوليسية من المشهد تماماً وحل بدلاً منها اللجان الشعبية.

هنا توقفت عقارب الساعة وتسلمت أنظار العالم على مصر وتغيرت قوانين اللعبة على الأرض كل هذا تحت سقف واحد يعلو في سماء مصر (الشعب يريد إسقاط النظام).

مع هذا التطور الرهيب الذي غير من مجريات الأمور، وأصبحت القوة في يد الشعب الذي حكم على الرئيس بكلمة واحدة ألا وهي (ارحل). تلك الكلمة التي عرف النظام معها جيداً ما آلت إليه الأمور وأن حوائط الصد قد انهارت فبدأت لعبة المفاوضات واللعب على كسب التعاطف. فبدأ النظام في تقديم العروض والتنازلات والتي كان منها إقالة الوزارة إلى التأكيد على عدم التوريث ثم خطاب "لم أكن أتوي الترشح" ثم الدعوات من أنصاره

على الفضائيات من أنه لا ضير من أن يكمل الستة أشهر الباقية له في الحكم وما تلاها من الخطابات العاطفية والتي راهن فيها النظام على عاطفة المصريين والدخول لهم من هذا الباب.

نظرية التعاطف فكرة جيدة وكارت مؤثر على كل حال، ولكن ليست في هذه الحالة. صحيح أنه من الممكن أن تقنع الفرد أو الجماعة بالتراجع وإمهال الفرص ولكن كيف يمكنك أن تقنع الطوفان أن يرجع؟!

المطلب واحد (ارحل) والهدف واحد (ارحل) والمعنى واحد (ارحل).

ولكن يبدو أن بعض المنحازين والمسؤولين وأصحاب المصالح والسبوبة قد صموا آذان قلوبهم فلم يفهموا معنى الكلمة وطالبوا الطوفان بالرجوع فكان الرد: "مش هنمشي، هو يمشي".

(ارحل) هو الجواب النهائي والحل الصحيح والوحيد لدى المصريين، فكان ما كان وانتصر الشعب على الرعب، وهزم المحكوم الحاكم، حتى جاء خطاب التنحي.

عزيزي القارئ إن الهتاف كلمة، وثورة يناير كشفت لنا قوة الكلمة إذا ما تم استخدامها بطريقة صحيحة، وها قد رأينا كيف استفدنا منها في ثورة يونيو فاستخدمها المنظمون كدعاية أساسية للمشاركة في ثورة يونيو .. عندما كان الشعار (انزل).

في السنوات التالية للثورة رأينا العديد من المظاهرات لجماعات متفرقة دون جدوى، فلا تشعر لها بهدف محدد ولا تأثير يذكر، يمكنك متابعة مسيرات كاملة لهم دون أن تعرف ما هو الهدف الحقيقي وراءها، وذلك لأن الهتاف في هذه المظاهرات تحول من سلاح تؤخذ به المطالب إلى استعراض فني وغناء يتباهى به القائمون على المسيرة أو المظاهرة.

وأصبحت المسيرات تتباهى أمام بعضها البعض بالهتافات والأناشيد الجديدة ويتم تصويرها وعرضها على اليوتيوب وبالتالي تداولها على مواقع التواصل بأسماء الأناشيد.

هتاف ثورة يناير كان مطلباً محدداً خرج من قلب الشعب دون تفكير، أما الهتاف في مسيرات الجماعات فيتم الإعداد لها من قبلها بفترات عن طريق مجموعة مؤلفين فتخرج المسيرة متحولة من مظاهرة غضب أو تأييد إلى كورال غنائي ينقصها بعض القفزات والدورانات من المتظاهرين لتجد نفسك عزيزي القارئ أمام فقرة من فقرات الفنون الشعبية أو أنك أمام مجموعة من المشجعين المنتمين للأولتراس الكروي.

وبالرغم من عدم إنكاري لقوة تشجيع الأولتراس في المدرجات إلا أنني لا أنكر أيضاً أن الهتافات المحددة من الجماهير العادية في دورة الأمم الأفريقية ٢٠١٠ مثلاً كانت أقوى بكثير من هتافات

الأولتراس وأن تأثيرها كان مباشراً وواضحاً على المنتخب وذلك لخروجها دون ترتيب وبكلمات محددة مثل (يا رب - العب - مصر).

أعتقد أنك لن تختلف معي أن منتخب مصر في بطولة أفريقيا ٢٠١٠ في القاهرة لم يكن المنتخب الأفضل فنياً، ولكن هذه البطولة شهدت تفوقاً جماهيرياً غير عادي فقد تميزوا بهتافهم القوي الذي كان يلهب حماسة لاعبينا ويقلل من ثقة لاعبي الفرق المنافسة فتغلب كفة منتخبنا ويكون النصر بإذن الله.

ولا أريد أن يتهمني البعض أنني أحرص في مقالي هذا على التظاهر والنزول إلى الشوارع، ليس هذا مقصدي تماماً ولكن ما أريد أن أقوله أنه يجب أن نستفيد من الأحداث التي تمر علينا حتى لا تدور عجلة التاريخ علينا وتدهسنا تحت تروسها، فالتاريخ يعيد نفسه المرة الأولى على شكل مأساة، والثانية على شكل مهزلة كما قال كارل ماركس.

التهاتف كلمة .. والكلمة عندما تخرج في وقتها الصحيح تصبح أقوى من الرصاص، فإذا كان لك مطلب أو رسالة فاتبع الخطوات التالية:

- اعمل بنصيحة أحمد السقا لخالد صالح في فيلم حرب أطاليا: "يا بكوغتي .. إترفز بس براحة .. اتعصب بس بشويش" حتى تظل أنت المتحكم في الأمور وتظل أنت من يسوقها، (فسائق عليك النبي يا أخي ما تخليش حد يسوقك ويجرجرك لي ما يرضيش ربنا ولا يرضيك أنت شخصياً).

- قبل أن تطلب ما لك افعل أولاً ما عليك وأتقن عملك فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .. فأتقن عملك ليوفقك الله إلى ما تحب.

- اجعل مطلبك محدداً .. ضع مطالبك، رسالتك أو اقتراحاتك البناءة في صورة نقاط واضحة ومحددة.

- عندما تطرق الأبواب فاجعل أسلوبك في سياق اللياقة والأدب .. فمن حقك أن (تخط ع الأبواب) ولكن ليس من حقك أن (تخط في الحلال).

- وفي النهاية إذا دعتك الأمور إلى الهتاف فإن (خير الهتاف ما قل ودل)، فإذا وصل بك الحال إلى التخطيط فافعل مثلها قالت الفنانة شادية للفنان عبد المنعم مدبولي في مسرحية ريا وسكينة "خبط بالعقل".

خرفان لا تأكل البرسيم

أعرف ما يجول بخاطرك الآن عزيزي القارئ وأن العنوان قد اتجه بك فوراً صوب أحد الميادين الثورية وتجاه أشخاص بعينهم وهذا أمر طبيعي في وقت سيطرت فيه السياسة على جميع أنحاء عقولنا وأوقاتنا.

ولكني أحب أن أطمئنك سواء كنت من المؤيدين أو المعارضين (ليك في السياسة ولا ما لكش فيها) أنني لا أقصد بعنواني هذا أي شخص بعينه كما نتوقع ولكن الموضوع مختلف تماماً.

منذ فترة وفي أحد أيام إجازة عيد الفطر وبعد صلاة الفجر أخذت ريموت التلفزيون حتى أغلقه وأتجه إلى النوم بعد يوم طويل مليء بالزيارات العائلية والتهاني التليفونية وكتابة رسائل التهئة (الواتسابية منها والفيس بوكية) وغيرها، ولكني قبل أن أغلقه راودتني نفسي كعادة المصريين أن أقوم بجولة سريعة بين القنوات قبل أن أخلد للنوم.

وبالفعل بدأت في التجول السريع ما بين القنوات وإذ بقناة استوقفتني منظر بها لم أصدقه فرجعت مرة أخرى لأتأكد مما رأيت، بالطبع لم أصدق ما رأيته عيناى وقد توقعت أنها مجرد خيالات شيطانية ولكنها بكل بساطة الحقيقة.

الحبيب والحبيبة في أحضان بعضهما البعض عارين تماما على الفراش (والله زمبئولكوا كده .. من غير حتى الأندر ورور)، وطبعاً أول كلمة قولتها كانت: (يا نهار أسود إيه ده؟) قلتها في داخلي طبعاً حتى لا تستيقظ (أم العيال) وطبعاً ساعتها مهما أشرح لها ولو حلفت لها ١٠٠ يمين إنها صدفة مش هتصدقني وهتخلي ليلة اللي جابوني س..... أحم أحم المهم، زادت دهشتي أكثر عندما وجدته فيلها عرييا والبطل والبطة مصريان.

وبما أنني من جيل الثمانينيات فقد عرفت الفيلم فوراً، إنه فيلم من زمن (منيل بنيله) على السينما المصرية انتشرت فيه الأفلام المصرية اللبنانية المشتركة والتي اشتهرت بوجود مناظر إباحية وعري أعتقد أنه غير مسبوق في حياة السينما ولا أعرف بالضبط ما سبب انتشار هذه النوعية في هذا الوقت وما الذي أجبر فنانين كباراً على القبول في الاشتراك في هذه النوعية من الأفلام الشبة جنسية.

المشكلة هنا أن هذه الأفلام أصبحت بعد ذلك تسمى بالأفلام (الممنوعة من العرض) ولا تجدها على الشاشات المفتوحة أو المجانية على الأقل .. في الحقيقة قابلني أحد هذه الأفلام مرة واحدة ولكن على قناة غير مصرية كما أن القناة كانت قد حذفت تلك المشاهد فأصبح فيلماً عادياً.

ولكنني هنا أمام قناة مصرية تعرض فيلماً ليس له أي قصة أو معنى وتركته كما هو بجميع مشاهدته الفاضحة دون أن يطوله مقص الرقابة من قريب أو من بعيد (والله يا عم ما انضرب فيه مفك) ليعرض على الجميع كما هو بالفاظه بمشاهدته ببلايصه.

بالطبع لن أذكر اسم الفيلم والذي هو على وزن (خراف لا تأكل البرسيم) لو عايز توصل بقى للاسم الصح غير الحيوان ونوع الأكل يعني حاول مثلاً في أرانب لا تأكل الجزر، سلاحف لا تأكل الخيار وهكذا.

السؤال المهم هنا .. ما الذي يجعل قناة مصرية على القمر المصري تعرض مثل هذه النوعية من الأفلام في هذا الوقت وبنسخته الكاملة دون أي حذف لأي مشهد خارج؟

هل هو نوع من أنواع الدعاية التي تثير ضجة حول القناة فيذاع صيتها ويعرف اسمها ويزداد متابعوها وخاصة أنها ليست من القنوات

الشهيرة والمعروفة؟، أم أن هذا العمل هو لهدف ما آخر سياسي أو الشكل الجديد للحرية الإعلامية في مصر.

في رأيي المتواضع أنه مهما كان السبب الحقيقي فإننا لا نرضى بفطرتنا وعاداتنا وتقاليدينا وديننا أن تعرض مثل هذه الأفلام علناً هكذا لتصيب من تصيب من أفراد عائلتنا ويصبح الجنس والعري والإباحية مع الوقت شيئاً معتاداً عليه يمكن تداوله على الشاشات وتصبح مشاهدة الأفلام الجنسية حرية لا نخجل منها، وبالتالي ليس من الغريب بعدها أن نجد مستقبلاً فيلم بورنو على قناة جديدة اسمها (Playboy Arabia) لتعرض لنا ما لذ وطاب وكان بالعربي وسنحصد فضائح جنسية بالكوم والحقيقة (إحنا مش ناقصين والنتم مليون لوحده).

ستظل الأفلام الإباحية عيب وحرام في أعين أبنائنا ما دامت ممنوعة من تلفزيون الدولة، وسيظل حازر (الحرام) قائماً داخل أنفسهم ما دام الوصول إليها عن طريق أبواب غير شرعية حتى وإن كانت تلك الأبواب سهلة الوصول إليها ولكنها في النهاية أبواب لا يتم فتحها إلا سرّاً وتحت ستار الخوف من الفضيحة. أما إذا سمحنا لتلك الأفلام وتلك المشاهد بالتواجد على سطح شاشتنا فستأخذ حيز المسموح وقُل على الأدب والأخلاق السلام.

وبالرغم من أن تلك القناة قد كفت أيديها عنا وأغلقت أبوابها منذ فترة إلا أنني هنا أناشد السيد المسؤول عن التصاريح الخاصة بتلك القنوات بأن يشدد من نظام المراقبة بحيث تُمنع تلك النوعية تماماً من العرض منعاً باتاً على أي قناة أياً كان مصدرها ما دامت منطلقة من قمرنا الصناعي (النايل سات) .. وإن كان ولا بد من عرضها فعليك أيها المسؤول أن تضمن لي أن يكون العرض في وقت تكون أم العيال والعيال كمان نايمين فيه، الله يسترِك أو أن تغلقوها وتطلعوا من نافوخي، والله الموفق والمستعان.

الفِتنة دي .. جديدة

"غسيل في بلكونه مواطن نزلت منه ميه على غسيل في بلكونه
المواطن اللي تحتيه والظاهر إنها ميه مش ولا بد يعني. بس تتحول
لإشاعات مؤسفة ويترتب عليها أحداث تصور للعالم إن في مصر فتنة
طائفية"

الرئيس الراحل أنور السادات .. يونيو ١٩٨١

فاكرين زمان لما كنا بنتفرج على الفنان الكوميدي محمود عزب
(عزب شو) وهو ييقلد فنان النكتة حمادة سلطان ويقول "النكتة دي
جديدة" وبعدين يروح قايل نكتة قديمة وبايخة وما لهاش معنى زي
مثلاً "واحد راح للبقال قاله عايز بشلن حلاوة فقال له ما عنديش وهو
عنده جوه" ويضحك وتلاقينا إحنا كان بنضحك وكل شوية يكررها
ويضحك واحنا نضحك وكأنا بنسمعها لأول مرة.

هو دا بالظبط حالنا دلوقتي في بلدنا مع كل مشكلاتنا وعلى رأسها مشاكل الفتنة الطائفية اللي كل شوية تكرر بنفس الشكل وبنفس الأسلوب وتلاقينا إحنا المواطنين والمسؤولين والإعلام بنتابعها وكأننا أول مرة نسمع بحاجة زي كده، ونستغرب ونندهش ونستاء وننكر ونهتف (إيد واحدة - يحيا الهلال مع الصليب) تلك الشعارات التي أكل عليها الدهر وشرب بل وتبول أيضاً.

خليني أثبت لك كلامي وتعالى نشوف الموضوع دائماً يبدأ ازاى، أولاً تحصل مشكلة بين أسرتين في منطقة شعبية أو قرية غالباً مابنكونش سمعنا عنها وعن اسمها إلا مع الأحداث وتلاقي الأسرتين دول جيران وعمر ما كان في خلاف ما بينهم قبل كده، لا طائفي ولا غيره وتحصل مشكلة عادية جداً بينهم وبما إنهم من منطقة شعبية أو ريفية فالأهالي في المناطق دي بتحب تجامل بعضها جداً ويتم رفع شعار "اللي يحب النبي يزُق" وكله يجرى على الخنافة، هنا بقى دور الإعلام بتاعنا واللي طبعاً بيكون دور مشرف وعلى طول ما يكذبش خبر ويذيع ويعيد ويزيد وهو بيأكد على أسماء المتشاجرين اللي طبعاً واضح منها أنهم مسيحيين على مسلمين ويحولها لفتنة طائفية وتولّع البلد كلها، وتبدأ المسيرات في الخروج في كل مكان ويطلع عليهم الجهة الثانية اللي ما حدش عارف دائماً هما مين علشان يضربوا اللي في المسيرة وتحصل المجزرة ويتصاب اللي يتصاب ويموت اللي يموت.

الجميل بقى في الموضوع إنك تلاقي الناس اللي هما أصلاً أساس
المشكلة قاعدين بعدها بيومين مع بعض قاعدة صفا ويطلعوا على
التلفزيون وهما يحضنوا ويوسوا بعض ويقولوا بكل دهشة:
"فتنة !! .. مين اللي قال إن إحنا عندنا فتنة، دا مجرد خلاف
عادى واتحل وإحنا طول عمرنا حبايب وأخوات".
طب بدمتكو مش حاجة تضحك لما تلاقي مثلاً المشكلة في قرية
صغيرة في الصعيد واللي بيموتوا عند ماسبيرو، وعلى رأي عمنا بيرم
التونسي:

من هفوة أو كلمة هايفة نتحمق ونقوم
نسب وندب ويدور العراك بالشوم
وكل محموق وله فرقه تقوم بهجوم
من قبل ما تعرف الظالم من المظلوم
ومنين نشوف العدل ولّا السفينة تعوم
ما دمنا فوق قلبها قاعدين لبعض خصوم
تضحك علينا الحدادي في السما والبوم

سامع واحد بيقول لي ما هو دا يحصل علشان الناس حاسة
باحترقان نفسي، هقول لك عندك حق لأ وخذ عندك كمان الناس
عندها احتقان في الأنف والأذن والحنجرة، آه والله العظيم أنا مش
بهزر، زي ما بقولك كده، احتقان في الأنف من ريحة دماء الأبرياء

المغطى بالغاز المسيل للدموع، واحتقان في الأذن من كثر الأخبار
اللي لا تسر عدو ولا حبيب عن الفتنة وغيرها، واحتقان في الحنجرة
من كثر خنقته واحتباس كلمة "حرااام بقى كفاية كده" اللي لو حتى
قالها بأعلى صوت ما يسمعهاش حد غيره.

يا جماعة خيلنا نفتح مخنا شوية .. إحنا بجميع طوائفنا مع بعض
في البلد دي وعلى أرض واحدة يعني طبيعي إننا نبقى زملاء في
العمل، أصحاب في المدارس والجامعات، أصدقاء في الملاعب
والأندية وجيران في المسكن، ومن الطبيعي جداً إن أي أصحاب أو
جيران أو حتى الأصدقاء تحصل بينهم خلافات وحناقات في بعض
الأحيان، عادي يعني بتحصل وحصلت معانا كلنا بصرف النظر عن
الانتماءات والأديان صح ولا إيه؟ .. طيب ليه بقى بنحول العادي
لفتنة تاكل الكل، ولو مش إحنا اللي بنعمل الفتنة طيب ليه بنصدق
اللي بيعملها، لا ونلاقي اللي بيتكلموا باسم الدين من قلب الأحداث
شوية عيال تبيييت عمرهم لا صلوا ولا دخلوا جامع ولا كنيسة.

باقولك إيه أجيبك م الآخر - المسيحين شايفين دائماً إنهم
مظلومين ومش واخدين حقهم في البلد دي وإنهم مضطهدين آخر
اضطهاد، والمسلمين شايفين إن المسيحيين واخدين حقهم (تالت
ومتلت) وإن الدولة بتيجي عليهم علشان يرضوا المسيحيين.

وبصراحة هما الاتين عندهم حق .. أيوه عندهم حق ودا

لسببين

الأول: إن فيه فرق وشرح وتقدر تقول شارع قسم المصريين على الجنين ودا من ساعة ما النظام القديم والإعلام بتاعنا ما مشى معنا في طريق أخويا المسلم وأخويا المسيحي، لأن الكلمة دي من وجهة نظري هي سبب التفرقة، كذا زمان واحد بدون فرق يعني لو معايا اتنين أصحابي ما كنتش باقول دا صاحبي المسلم ودا صاحبي المسيحي، لا هما الاتين صحابي وخلاص.

طيب تخيل انت إني باقدمك اتنين أصحابي وقولت لك "دول عادل وهاني أصحابي" .. وقتلك في مرة ثانية "دا عادل صاحبي المسلم ودا هاني صاحبي المسيحي" ... هااااا حسيت بالفرق؟؟!!!

السبب الثاني: إنه ما دام كل واحد يحسبها من وجهة نظره الخاصة وخلاص يبقى كلنا صح، ما هو ما فيش حد فينا عارف مسئولياته في البلد دي وعارف إيه اللي ليه وإيه اللي عليه، يعني غياب الوعي بالحقوق والواجبات وما حدش يحاسب حد على تقصيره والمجتهد ما يلاقيش اللي يساعد ولا حتى يقوله كتر خيرك. ودا بقى اللي يخلينا نبص لبعض علشان نعرف كل واحد عنده إيه وبياخد إيه وعازب أبقى زيه وخلاص بدون حتى ما اشتغل وأبذل مجهود وطبعاً الشماعة جاهزة بالمقولة الشهيرة "أنا مضطهد".

الكلب اللي عض النمر

بعد صمت طويل الكلب جاك يعلنها صريحة

"أنا اللي عضيت النمر"

بعد زمن طويل قرر جاك أن يخرج عن صمته ويعلنها صريحة وعلى الملأ قائلاً: "أنا اللي عضيت النمر" .. تلك القضية التي حيرت الكثيرين بعدما رأوا النمر في الآونة الأخيرة في حالة نفسية سيئة بينما يحاول إخفاء يده التي يظهر عليها علامات جروح غائرة.

وترددت أقاويل من مصادر قريبة من النمر أن تلك الإصابات ناتجة عن عضه كلب، بينما حاول رابطة محبي النمر أن ينفوا تلك الأخبار من خلال حسابهم على الفيس بوك قائلين أن الإصابة التي في يد النمر ما هي إلا حادث بسيط تعرض له من خلط المطبخ أثناء تحضيره لزبادي الفواكه اللي يحب يتعشى بيه، ولم يكتفوا بذلك بل أنشؤوا صفحة تأييد تحت مسمى (النمر ما يعضوش غير نمر زيه).

ولكن المفاجأة كانت من العيار الثقيل عندما انفردت (قناة الزرية) حصرياً بإذاعة شريط مسجل من الكلب (جاك ياما هنا ياما هناك) يعلن فيه أنه هو الذي (أرم) النمر من إيديه معرباً عن أسفه لحملات التشويه والتسفيه التي قام بها البعض ضده وخاصةً (Elnemr Lovers) أو (عاشقو النمر) كما يطلقون على أنفسهم وقال أن تلك الحملات مستهدفة للتقليل من شأن هذا الحدث الفريد الذي قام به ولكنه ظهر الآن لكي يظهر الحقيقة، كما أعلن أيضاً أنه عندما انقض على النمر لم يكن يريد أن يعضه من إيديه وإنما كان يريد عضه (من حته ثانية) لم يفصح عنها ولكن النمر استطاع أن يلحق بنفسه في اللحظات الأخيرة.

ثم قامت مذيعه القناة الأنسة (لوليتا بولدوج) بتوجيه السؤال للنمر حول ما أثاره الكلب في حديثه للقناة وهل ما رواه حقيقياً أم هي مجرد حملة للشهرة على قفا النمر فصمت النمر للحظات ولم يرد إلا بدمعة ساخنة ثم قال بصوت مخنوق ومسرّع: "أنا مش هتكلم غير قدام المحامي بتاعي".

مقام سيدي أبو تريكة

يَوْمًا كُنت أَشَاهِدُ بَرْنَايَ يُسَمَّى (حِكَايَةُ أَثَرٍ) وَهُوَ لِمَذِيْعَةِ شَابَةِ اسْمِهَا "نَارِيْمَانُ زَيْنِ الْعَابِدِيْنَ" وَهَذَا الْبَرْنَايَ يَتَحَدَّثُ فِي كُلِّ حَلَقَةٍ عَنْ أَثَرٍ مِنَ الْآثَارِ الْمَصْرِيَّةِ سِوَاءِ فِرْعَوْنِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامِيَّةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْآثَارِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي مِصْرِ الْكَثَاثَةِ. وَمَا لَفَتِ انْتِبَاهِي كِيَّةَ الْآثَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا الْبَرْنَايَ وَالَّتِي كُنتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَسْمَعُ بِهَا وَهِيَ آثَارُ فِي مَنَهَى الرُّوعَةِ فِي التَّصْمِيمِ وَالْعِمَارَةِ، وَتَسَاءَلْتُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا هَذَا التَّارِيخُ الْجَمِيلُ الْمَجَسَّمُ بِأَبْنِيَّةٍ تَعِيْشُ مَعَنَا وَبَيْنَ أَيْدِينَا وَلَا نَدْرِي عَنْهَا شَيْئًا وَهَنَا قُلْتُ لِنَفْسِي: "لَا.. لَا بَدَأْنِي أَتَذَكَّرُ أَمَا كُنْ إِسْلَامِيَّةً تَارِيخِيَّةً أُخْرَى وَأَعْرِفُ أَمَا كُنْهَا جَيِّدًا، نَعَمْ سَوْفَ أَتَذَكَّرُ، وَبَعْدَ مَعَانَاةٍ مَعَ النَّفْسِ صَرَخْتُ فَرَحًا: "أَيُّهُ بَقِيَ.. وَجَدْتُهَا وَجَدْتُهَا.. مَقَامُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ وَمَقَامُ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ وَمَقَامُ السَّيِّدَةِ نَفِيْسَةَ".. وَهَنَا سَكْتُ بِرَهَةٍ ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي (يَا لَهْوِي، هُوَ أَحْنَا مَشْ عَارْفِينَ حَاجَةً مِنْ آثَارِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ غَيْرِ الْمَقَابِرِ)، نَعَمْ عَزِيْزِي الْقَارِئُ الْمَقَامَاتِ (الْمَثَامَاتِ كَمَا نَقُولُهَا بِالْعَامِيَّةِ) أَسَاسًا هِيَ مَقَابِرُ أُقِيمَتْ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا النَّاسُ الْغَلَابَةِ (وَاللِّي مَشْ غَلَابَهُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ) فَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهَا وَيَطْلُبُونَ مِنْهَا، وَهَنَا تَأْتِي وَقْفَةٌ.. هَلِ التَّضَرُّعُ لِهَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ حَلَالٌ أَمْ

حرام؟! ... طبعاً أنا لست هنا لأقول الحلال من الحرام فهذه فتوى لست أهلاً لها والفتوى لها أهلها وناسها، ولكنني سوف أنظر لها من منظور آخر ألا وهو لماذا أقيمت تلك المقامات أساساً؟ ولماذا اختفت تلك العادة والثقافة في عصرنا الحالي؟

في اعتقادي أن الفكرة لم تنطلق حتى يتقرب لها الناس بالتضرع والدعاء وأن أصحاب الفكرة لم ينسوا قول الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^١ وإنما كانت الفكرة هنا هي تخليد ذكرى أناس عاشوا من أجل الإصلاح والدعوة لله دون ابتغاء مصلحة شخصية.. يعني كانوا ناس بتوع ربنا، فكانت فكرة المقامات حتى يظلوا قدوةً يحتذى بها على مر العصور، ومن الواضح أن تلك الفكرة قد راقت لأهل مصر في تلك الفترة فانتشرت المقامات في كل أنحاء المحروسة.

في المنوفية وفي مدينة منوف مسقط رأسي مثلاً يوجد مقامان مشهوران جداً وهما "مقام الشيخ زوين ومقام ستنا عائشة المخالصة" وأقول لكم بكل نحر إنني لا أعرف شيئاً عن تاريخ أصحابها. ومن الواضح أن فكرة المقامات تلك قد أثبتت فشلها.. فمعظم تلك المقامات

لا يعرف أحد الآن عن أصحابها شيئاً وماذا فعلوا في دنياهم حتى يتم تخليدهم بهذا الشكل ومع ذلك لا نزال نتبارك بهم.

وأعتقد أن تلك العادة لها أصولها الفرعونية والتي كانوا دائماً ما يبذلون جهداً خارقاً في عمل المعابد والأهرامات التي أقيمت من أجل دفن الملوك فيها ولم يهتموا بحياتهم بنفس القدر والدليل على ذلك عدم وجود آثار لمنازلهم التي كانوا يعيشون بها وإنما استمرت مدافنهم فقط هي التي تناطح التاريخ والزمان.

أما عن اختفاء تلك العادة في عصرنا الحالي ففي اعتقادي أن السبب لا يكمن في اكتشافنا أنها عادة فرعونية قبيحة وأن الحي أبقى من الميت والدليل على ذلك تكالب الناس على تلك الأضرحة والتبرك بيها هذا بالإضافة إلى إعلامنا حتى الآن دائماً ما يخلد ذكرى وفاة الفنانين وغيرهم ويحتفل بها ولا يحتفل بذكرى ميلادهم، ولا أعتقد أيضاً أننا تركنا تلك العادة لأننا شعب متدين بطبعه أو لأننا عرفنا أنها تدخل في نطاق الحرام فإننا لو كنا أمةً نترك كل ما نكتشف أنه حرام لكنا أصلح وأحسن شعوب الأرض وأكثرها تقدماً أيضاً.

ولكن تفسيري لعدم بناء مقامات جديدة في عصرنا الحالي يعود

لنقطتين:

أولاً: أنه لم يعد بيننا من يستحق أن يخلد ذكراه، فالأنظمة السابقة قد جعلت العديد من علمائنا وسفرائنا أرضاً خصبة لكل من

يحاول التشويه والترقية وإطلاق النكات دون أدنى حراك أو اعتراض بل الويل كل الويل لمن يحاول نصرة العلماء من حملات التشويه، تلك الحملات التي لم تكن على علماء الدين فقط بل كل العلماء والتي كان يمكننا أن نتخذهم رموزاً وقُدوة، فالشريف من الوزراء أقالوه والوطني من السياسيين اعتقلوه والدُّؤوب من العلماء تم نفيه وهناك العديد من الأمثلة على مر الزمان، حتى إنني قد تحدت نفسي أن أجد أحداً نقيم له مقاماً فلم أجد بعد جهد وبُحث وافر غير الكاتبين محمد أبو تريكة أمير القلوب الذي أسعد قلوب المصريين على مدى سنوات عديدة وأحبه الجميع واتفق على محبته العرب الذين لا يعرفون الاتفاق أصلاً وكانوا في منتهى الأدب معه فلا شتائم ضده مهما كان مستواه ولا إشارات بذئبة له مهما أضع من فرص.

السبب الثاني هو أنه إذا وجدنا رمزاً يمكن أن نقيم له مقاماً فلن نجد له مكاناً نقيمه به أصلاً فالأنظمة السابقة جعلت الأحياء في بلدنا يسكنون المقابر ويزاحمون الأموات في مرقدهم (يعني بدل ما أعمل مقام لواحد أعمل عشة أسكن فيها أنا وأولادي أحسن).

ومن هذا المنطلق أريد أن أوجه كلمة، ولكنني لن أوجهها لأي من الأنظمة السابقة ولا للعلماء ولا حتى للأولياء أصحاب المقامات ولكنني أوجه كلمتي للكاتبين محمد أبو تريكة: "بعد الحملات التي تعرضت

على الطاولة

أخيراً وبعد عدة محاولات واتفاقات باءت جميعها بالفشل، استطاعت إحدى المحاولات أن تكسر حاجز البعد وتعيدهن للتجمع حول الطاولة القديمة مرة أخرى بعد مرور كل هذا الوقت، سعادة الطاولة لا توصف، فقد غَبِنَ عنها طويلاً وهن اللاتي في السابق تحسبن من طول تجمعهن الدائم عليها أنهن ملتصقات بها.

اشتاقت الطاولة كثيراً لهن ولتجمعهن حولها، اشتاقت لضحكاتهن وحكاياتهن وأحلامهن البريئة التي طالما تجسدت على شكل قلوب تحترقها أسهم (الكيوبيد) ومعها أوائل حروف أسمائهن التي حفرنها بأيديهن على جدرانها الخشبية، تلك النقوش التي كانت تزينها وتميزها عن باقي الطاولات الأخرى الموجودة في المكان.

ها قد بدأ في الحضور وبدأ معه ظهور الابتسامة التي اعتادت عليها، تقول الطاولة لنفسها "أخيراً عادت الأيام الخوالي .. تعالين وأشبعيني من حكاويكن وأعدن إليّ شبابي بضحكاتكن التي طالما انتظرتها".

بدأ التجمع بالابتسامة والقبل والجلل الشهيرة في هذه المواقف "إيه دا .. انتي مش متخيلة انتي وحشاني قد إيه"، "ما لك يا بت

احلوتي كدا ليه!! شكلك كدا بتجي جديد يا مجرمة"، بينما تميل إحداهن هامسة على أذن الأخرى بكلمات قليلة فتزد عليها بضحكة وضربة على الكتف قائلة لها: "يا سافلة".

لا يستمر الكلام والحوار الجماعي فيما بينهن أكثر من بضعة دقائق ثم يتحول إلى حوارات جانبية ثنائية وثلاثية بأصوات منخفضة لا تخلو كل منها من نغمة صغيرة على إحدى الموجودات في المجموعات الأخرى. بينما يتخلل تلك الحوارات بعض النظرات والابتسامات من أفراد المجموعات إلى الأخرى ويتبعها ابتسامة فقيرة تصحبها جملة "عاملة إيه يا قمر ... وحشاني والله".

تتابعاً تنهي كل مجموعة غيمتها ويبدأ الصمت والسكون في ملء المكان، ولم لا فقد خرج الموبايل من الحقائب وبدأت باقة (النت) في العمل، وسيطر السيد (واتساب) على الجميع.

إن رأيتهن من بعيد حسبتهن أصناماً جالسة أو أنك أمام مجسم ثلاثي الأبعاد من لوحة (العشاء الأخير) للفنان ليوناردو دافنشي. الجميع على رؤوسهن الطير ويجلسن نفس الجلسة لا يتحرك منهن غير إصبعي الإبهام اللذين يكتبان بكل مهارة على الأحرف الصغيرة المتلاصقة على الشاشة (التاتش) الخاصة بالموبايل النائم بين راحتي الأيدي المخفية تحت المنضدة والنظر ممتد صوب الشاشة.

صمت مستمر لا يقطعه غير صوت رفيع من إحدى أفراد الشلة موجهة حديثها لزميلتها المقابلة على الجانب الآخر من الطاولة: "شوفتي بعثلك إيه؟" ثم ضحكة عالية من الطرفين (من غير نفس) ليعودا سالمين إلى الوضع (السايلنت) مرة أخرى.

لا يستمر هذا الوضع كثيراً فتقف فجأة إحدى الفتيات قائلة: "أوف .. أنا زهقت .. يلا بينا نروح"، فترد الأخرى مسرعة: "آه يلا علشان أنا تأخرت قوي كدة" فتلاحقها الثالثة وهي تلتقط حقيبتها من جوارها: "أنا انبسطت قوي إني شفتكوا يا بنات ... لازم نكررها ثاني"، ويكون الجواب النهائي من الجميع "آه آه لازم طبعاً لازم ... إن شاء الله" يقولنها وهن يكتبن الحروف النهائية على (الواتس) قبل إغلاقه مؤقتاً.

الجميع رحل تاركات الطاولة المستطيلة وحيدة وحزينة، فلقد اكتشفت أن سعادتها في تجمعهم حولها أصبح في خبر كان، فكل منهن تعيش داخل كهف في عالمها الافتراضي، رحلن ولم يتركن لها سوى بقايا طعام بدلاً من السعادة والبهجة التي كن يملأن المكان بوجودهن.

المشهد الأخير:

أحد العاملين محدثاً زميله أثناء تنظيف الطاولة: "الطرايزة دي عايزة تثبت ... سامع الصوت التزييء ده، دي زي ما تكون بتعيط".
 زميله وهو ينظر إلى الطاولة: "هي الطرايزة دي ما لها عجزت كده ليه؟... النقش اللي عليها بقى عامل زي التجاعيد"

دمعة - سكووووون - وحدة.

اطلع من نافوخي

"يااااه لو كانت دماغنا شفافة وكل واحد يقدر يعرف إيه اللي في دماغ اللي قدامه .. كنا استريحنا كثير!!!"

منذ فترة قابلي "البوست" السابق على الفيس بوك، وقد شدني كثيراً وجعلني أفكر هل لو استطعنا أن نعرف كل ما برؤوس من أمامنا سواء بقراءتها أو بسماع أفكارهم هل كنا سنجد الراحة فعلاً وهل ستتحوّل حياتنا إلى الأفضل والأحسن؟ وأيها أفضل .. أن تتحوّل أفكارنا إلى كلام مكتوب بينما نقوم بقراءته أم نسمع ما يقال مباشرة؟.

أدعوك عزيزي القارئ أن تقوم الآن في رحلة تمتطي فيها حصان خيالك لكي ترى بنفسك كل حالة مما سبق ولك الحكم في النهاية.

سماع الأفكار

طبعاً فكرة إنك تسمع الأفكار دي اتعملت قبل كدا في فيلم ل
أحمد الفيشاوي وكان اسمه (الحاسة السابعة) ومن قبله فيلم
(What a women wants)

للفنان العالمي ميل جيبسون، المهم إن الفيلمين أجمعوا على أننا إن
رزقنا بتلك القوة الخارقة فلن نكون في أحسن حالاتنا برغم المميزات
التي حدثت للبطل في الفيلمين سابقي الذكر .. ولكن بطلينا كانا هما
الوحيدان اللذان يستطيعان سماع أفكار الناس وإن كان نصيب ميل
جيبسون في سماع أفكار السيدات فقط.

إذن تعال معي لتتخيل لو كلنا نسمع أفكار بعضنا البعض ونحن
هنا نتكلم عن قدرة نفترض أنها موجودة فينا جميعاً فهل سنعيش
حياة أفضل دون تشكيك في الآخر أو وجع دماغ.

تخيلي حضرتك إنك واقفة في المترو، وطبعاً كعادة المترو فهو
عبارة عن علبة سردين وحضرتك محشورة بداخلها وسامعة غصب
عنك كل ما يقال من كلام وما لا يقال أيضاً (ما انتي بتسمعي
الأفكار كان بقى) وفي وسط تلك الدوشة استطعت أن تميزي صوت
أفكار أحد المراهقين من خلفك وهو يتغزل في قوامك الفتان

وحدودك التي في نعومة شقائق النعمان، بل وقد عقد العزم على أن يتحرش بسعادتك، وقبل أن يفعل فعلته ما لبثت إلا وقد لففت تجاهه مطوحةً بيديك في دوران يحسدك عليه أفضل لاعبي رمي القرص لاصقة كفك على قفاه .. طaaaاخ.

سكووووووت تام .. الزمن يتوقف لحظات مع كل العيون الي اتجهت نحوك بفعل صوت طرقة كف سعادتك الحنين على قفا الشخص الي وراكي، اللحظات دي الي عدت عليكي كأنها ساعات وأنتي بتعيدي حساباتك وتفكيرك الي اشتغل فجأة فقلتي لنفسك "يا لهوي، هو دا الي كان عايز يتحرش بيا؟! أكيد مش هو، أنا سمعت صوت عيل مراهق ودا راجل كبير وكان كان ضهره ليا وماكنش باصصلي أصلاً!" ولأن هذا المواطن المسكوع على قفاه يسمع أفكارك هو كمان فيقوم بالرد عليكي قائلاً: "ولما انتي ناصحة كدا ما فكرتيش ليه قبل ما تمدي إيديكي يا بنت ال...." وعلى وشك وطاخ.

وتكتشفين بعد ذلك أن الصوت الذي سمعته صادراً عن شاب مراهق كان جالساً بجوار الشباك وقال ما سمعته عندما سرح بخياله في (مزة) ماشية على رصيف المحطة المقابل.

طيب تخيلي أنك لست البنت الوحيدة الي في المترو وبالطبع جميعكن سمعن نفس الكلام وتخيلت كل واحدة أن الكلام يخصها وبالتالي وفي نفس الوقت التفتت كل البنات في المترو موجّهين ضربة

رجل واحد على قفا تعساء الحظ الذين كان قدرهم أن وقفوا خلف تلك الفتيات!!

سوف أترك لك المجال لتفكري في شكل عربية المترو بعدما حدث بينما أتوجه إليك الآن عزيزي القارئ فاستعد وهيا بنا إلى حصان خيالك.

أنت الآن في المسجد بين صفوف المصلين مؤدياً صلاة الجماعة وكما اتفقنا أنك الآن تسمع كل من حولك، فهذا يستغفر ربه على ذنب قد اقترفه وذاك يدعوه بالستر وكل من يصلي له شكواه وأمانيه، وفي وسط تلك الدعاوى تستطيع أن تميز صوت المعلم عبده أكبر أثرياء المنطقة (والي واكلها والعة) وهو يدعي إن ربنا يوسع عليه رزقه.

على طول حضرتك هتقول بينك وبين نفسك: "هو أنت ناقص فلوس يا معلم دا انت عندك فلوس لو وقفت فوقها تلمس السقف".

وهنا يسمع المعلم أفكارك ويرد: "وأنت مال أهلك"

أنت: "أنا مالي ازاي وانت كل دعواتك ع الفلوس .. يا عم بص لآخرتك شوية .. دا انت عندك فلوس تسد عين الشمس".

المعلم عبده: "هو انا بطلب من جيب أبوك، خليك في حالك بدل ما أعلقك على باب المحل زي الفخدة البتلو لحد ما بيان لك صحاب".

أنت: "تعلق مين يا راجل يا جاهل انت .. انت نسيت نفسك ولا إيه؟"

يتدخل الحاج عرفة جاركم: "يا جماعة اهدوا عيب كده .. دا انتوا ناس كبار وولاد حنة واحدة".

المعلم: "مانتش سامع بيقول إيه يا حج .. دا باصصلى فى القرشين اللي محوشهم للعيال".

عرفة: يا معلم مايقصدش .. دا بس خايف عليك وعائزك تبص لآخرتك.

المعلم: أنت كمان هتقولي آخرتك .. انتوا بتقولوا عليا.

المهندس فؤاد مقاطعاً: "صلوا ع النبي يا جماعة دي مجرد وسوسة شيطان وهتروح لحالها".

الحج عرفة: "والله عندك حق يا بشمهندس .. أدي كلام الناس العاقلة".

أنت: "ليه يا حج .. يعنى إحنا اللي مجانيين يعنى ولا إيه؟"

حوده العجلاقي: "يا جماعة صلوا ع النبي، اهدوا بقى واتقوا ربنا"

المعلم: دلوقتي بقيت تعرف ربنا يا حودة .. روح لم بنتك الأول

بدل ما هي عماله تلف على شباب الحنة أكثر ما العجل اللي عندك ييلف على الأرض.

حودة العجلاتي: "أنت بتجيب سيرة بنت حودة العجلاتي يا معلم الغفلة دا انا هأنفخك انت وابنك اللي فاكر نفسه عندليب وطول الليل عمال يعوّص للبت م البلكونة زي الكلب اللي مش لاقى وليف".

المعلم عبدة "أنا ابني كلب يا"

صوت عالٍ يقطع الحديث: "السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم ورحمة الله ،،، بوظتوا الصلاة الله يخرب بيوتكم جايين تتخانقوا في بيت ربنا يا كفرة يا ولاد تيبيبيبيت" طبعاً حضرتك نسيت إنك كنت بتصلي أصلاً وما فوقتش غير لما الإمام قطع خناقتكم.

دا الحال اللي وصلنا ليه بعدما استطعنا أن نسمع أفكار بعضنا البعض، فهل سيكون حالنا أفضل إذا ما أُتيحت لنا القدرة على قراءة الأفكار بدلاً من سماعها؟ .. هذا ما أدعوكم إليه في المقال القادم.

قراءة الأفكار

عزيزي القارئ كما رأيت وقرأت في المقال السابق أن فكرة سماع الأفكار ليست بالفكرة الجيدة على كل حال وحتى خارج الأمثلة التي ذكرناها فإنك إن جلست بين ثلاثة أو أربعة أشخاص يتحدثون فلسوف تتوتر وتشعر بصداع وتفقد تركيزك، فما بالك إن كنت في فرح، كافية، نادي، مع شلة من أصحابك أو حتى في الشارع فتخيل كمية الأصوات والأفكار التي ستنهال عليك وانت سيد العارفين إن مخ بني آدم لا يتوقف عن التفكير وذلك يعني أن الزن على ودنك لن ينتهي أبداً.

إذا فلنترك تلك الخاصية المتعبة وتعالَ معي إلى (الأوبشن) الذي سيغير وجه العالم ألا وهو قراءة الأفكار .. ما رأيك أن تكون الأفكار مكتوبة فوق رؤوسنا مثل الكاركاتير وعلينا أن نقرأ ما نجبه ونترك ما لا نجبه.

لكي نعرف إن كانت تلك الخاصية مفيدة أو غير ذلك تعالوا معي مرة أخرى وكل واحد منا يركب حصان خياله مثلها أو صاننا الفنان الراحل محمود عبد العزيز في فيلم الكيت كات.

حضرتك الآن متشيك ومتأنتك وترتدي الحتة اللي ع الحبل،
فأنت معزوم اليوم على الغداء في منزل مديرك، ذلك لأنك ولد مذهب
ومحترم ومحبوب والأهم من ذلك إنك بتاع شغل ويبدو إن هناك
ترقية في الأفق القريب فهنيئاً لك يا عم.

أنت الآن أمام بيته وطرقت الباب ويديك علبة الشكولاتة إياها
الخاصة بالزيارات، بعد السلامة والتحيات دخلت عليكم المدام كي
تقدم لك مشروب التحية أو (الويلكم درينك). طبعا حضرتك
ابتسمت وسلمت وقعدت مكانك بكل أدب ثم نظرت للأرض حمرة
انخلج تعلو وجهك وقلت لنفسك "أدى الستات ولا بلاش .. شيأكة
وابتسامة وكان مزرة ما شاء الله مش الذكر اللي أنا سايبها في البيت
بيوزها اللي عامل زي مقوار البنجان ده، لكن العسل دي يا لهوي
دي عليها جوز شفايف نار ولا جسمها أووووف .. دي ماتسابش
كده .. دي لازم نتــــــــــــ (قاطعك برودة العصير الذي انسكب
على رأسك ومتبوعاً بلكمة محترمة من مديرك على وجهك الذي أحمر
ورماً هذه المرة لا نجلاً) ثم تستفيق من الصدمة على بوز بجذ، ليس
بوز مراتك وإنما بوز مديرك اللي قرأ أفكارك السافلة.

أعلم جيداً أنك لم تكن تقصد أي شيء خارج، ولكن ضع
نفسك مكانه وقل لي ماذا سيكون رد فعلك مع الكلام البايخ ده

(مزة، شفايفها، جسمها، نااار) .. لا وكله كوم وكلمة (لازم نـ) الأخيرة دي كوم ثاني .. أعلم جيداً أنك مؤدب (مثل كل قرائي الأعزاء) وإنك كنت ستقول "لازم تتحبس وتندارى عن عيون الناس" بس النية مايعلمهاش غير المولى سبحانه وتعالى وهو أعلم باللي في النفوس .. لذا أنصحك في هذه الحالة أن توصي صبحي المحامي اللي على أول شارعكم يستعد لأنك متحول للشئون القانونية، وبالمرة تخلي الواد تامر بن سعاد جارتكم يبعثك الـ CV بتاعك للشركات وهو سهران في السايبر علشان تلحق تلاقي شغل ثاني لأن حضرتك مرفود مرفود مرفود يا ولدي.

أما أنتي يا ست الكل فستعدة وعلى سنجة عشرة علشان النهار دا عيد ميلاد زميلتك الأنتم، ولأنك بتحبها فقد أخذتي معي هدية حلوة قوي .. (الشوز الأوف وايت) اللي كانت عجاها وانتوا بتتمشوا مع بعض آخر مرة .. أنا عارف طبعا إنك جربتيا الأول على رجلك وبالطبع أخذتي لك بيها لفة في الشقة، وكان طلعت شكلها تحفة عليكي ولايقة قوي على الطقم الأخير اللي اشتريته علشان فرح بنت عمتك، بس هتعملي إيه بقى أدي الله وأدي حكمته وأرزاق.

أنتي الآن في عيد الميلاد وانبسطتوا ورقصتوا وغنيتوا "يلا حالاً بالاً" وتفتفتوا في التورطة علشان تطفوا الشمع وكان اتصورتوا وانتوا عاملين البوز إياه بتاع الصور .. طبعا ما عداش عليكي النظرات

والهمسات اللي كانت واضحة بين زميلتك وبين الواد المز بتاع الشلة
(والي ممكن تعتبره كاتب هذه السطور .. عادي يعني)، وبسرعة
ترجمتي على طول إن الموضوع فيه علاقة بينهم والبت بترسم عليه تمام،
ولأنك مؤدبة قررتي إنك ماتشغليش بالك بيهم وإنك لازم تدخل
المطبخ مع طنط مامتها علشان تساعدوها، على طول شمرتي درعاتك
وأخذتي غطس داخل الحوض وهاتك يا غسيل وانتي بتغني الأغنية
العاطفية الشهيرة (بيبي شارك دو دو دودودودوو)، وفجأة سمعتي
زميلتك بتقول "الله دي حلوة قوي بص يا احمد الشوز اللي جاتلي
هدية .. دي هتاكل من رجلي حته" وطبعا ساعتها صوت غناكي
انخفض وقولتي لنفسك: "بص يا أحمد .. أأأأأ بص يا أحمد بص، ما
هي ناس تتمشور وتشترى وناس تلبس ويحيلها حظها لحد عندها، دا
حتى ما هانش عليها تقول مين اللي جابها، آل والهانم اللي عاملة لي فيها
مؤدبة بتقول له بص وبتفرجه على رجلها، إيه قلة الأدب دي،
وبعدين يبص على إيه على العصا عيص اللي عندها دي آخرها تقدم
بيهم في أي عصارة قصب طالبة زعازيع، أومال لو شاف رجلي أنا
هيعمل إيه دا انا حتى رجلي بيضة ومدوره وتهبل مش رجلين البجع
الي عندها .. ترررررر".

أعتقد أنك تعلمين جيداً أن تلك (التررررر) هو صوت طاسة
القلية اللي لبست في وشك من أم زميلتك اللي كانت واقفة وراكي

وقرأت كل أفكارك الخبيثة وانتي عايمة في بحر الغدر لأن شط الندالة مليون.

وبدون أن تقسمي، أعرف جيداً أنه مجرد خيال وأن زميلتك أهم من كل هذا الهراء، بل وإنك ستكونين أول من يفرح لها وهاتك يا رقص ع البيست.

كما أن طنط كان رد فعلها (أووفر) قوي الصراحة، إن هذا النوع من التفكير لهو طبع في كل بنات حواء وليس خاص بك ولا يعني بالمرّة إنك بتكرهي بنتها، كما أن تلك الأفكار بتنتهي بمجرد الخروج من الخيال .. فهل من المعقول إن كل بنت هتسرح شوية بخيالها تلبس طاسة قليلة في خلقتها ونلاقي بنات بلدنا كلهم وشهم بقا شبه الطبق المسطح وطالع لهم زيبية صلاة في قورتهم على شكل كلمة تيفال.

ولكن يجب أن تعذريها ذلك أنها لا تعرف ما بنيتك التي لا يعلمها غير المولى، هي فقط قرأت أفكارك بدون أي (ري أكشن) على وشك يبين الكلام دا هزار ولا جد. دا حتى الشات اخترعوا له (إيموشنز) يبين للآخر ما إن كان كلامك يحمل بين طياته مقصداً جاداً أم هزلياً.

يبدو عزيزي القارئ أن فكرة سماع وقراءة الأفكار في حد ذاتها فكرة فاشلة، وستجلب لنا من ورائها الكثير من المشاكل.

ولكن خارج تلك المواقف التي تخيلناها ولو أمعنا التفكير قليلاً
فسنجد أننا لو كنا نرى أو نسمع ما في أدمغة بعضنا البعض لكنا فقدنا
الكثير من الصفات الجميلة في حياتنا، فثلاً عمل الخير في السر والذي
أمرنا به الله سبحانه وتعالى سيختفي تماماً، لأنه لن يكون هناك سر
في الدنيا كلها، ذلك لأن المخ هو مكن الأسرار وهو الذي سيكون
مكشوفاً لكل خلق الله، وبالتالي سينكشف كل خير بتعمله في السر
وطبعاً سينحسر ذلك ثوابه العظيم وهتمحي السعادة التي بتيجي من
وراه.

كما سيفضح أمر هؤلاء الذين يفعل الخير فيهم، وهم أناس من
الغلبة الذين لا يمدون أيديهم وتحسبهم أغنياء من التعفف.
ثانياً: بنات أفكارك ستعرض للتحرش والاعتصاب أمام
عينيك، ومهما كنت جامداً ومسيطراً فلن تستطيع أن تفعل شيئاً ولا
عزاء لبراءة الاختراع أو الملكية الفكرية، فكل الأفكار ستسرق وكل
الاختراعات ستقلد وكل الكتابات والشعر والأفلام والأغاني وغيرها
ستستنسخ وستساوى جميعاً، ومبدأ أن تكون لك الأفضلية بالطموح
والتفكير سينتهي لأنه سيسرق بكل سهولة وبمجرد أن تفكر فيه.

ثالثاً: "تهادوا تحابوا" تلك المقولة التي ستختفي لأن أجمل ما في
الهدية عامل المفاجأة، تلك الكلمة التي لن يكون لها محل من
الإعراب، ذلك لأن الطرف الآخر سيكون على علم دوماً بما سوف

تفعله، والأسوأ لو أنك هاديت أحداً وقرأت في أفكاره أنه يملك مثلها أو أحسن منها أو أن فلانا قد أحضر له من قبل ما هو أفضل، أو أن خطيبتك قرأت في أفكارك أنك مزنوق ومستلف تمن الهدية ويا سلام لو كانت تلك الهدية من أجل خطيبتك القديمة وأردت أن تقدمها لها بدلاً من رميها ع الفاضي وهي مش رخيصة برضه وانت عارف الباقي بقى.

رابعاً : كل ابن آدم خطأ، وطبعاً هتنكشف كل أخطاء كبرائنا وعلمائنا سواء في العلم أو في الدين وعليه انس أن يكون لأحد كبير، الكل هيصغر في عين الكل والقدوة ستنهار وقُل على الأخلاق السلام، وعلى رأى المثل "لا تعالريني ولا أعالرك، الذنب طاليني وطايلك" وطبعاً زي ما انت عارف إن "اللي بيته من قزاز لا مؤاخذه ما يغيرش في الصالون".

خامساً: "الحرب خدعة"

لا خدعة مين بقى يا ريس انسى الموضوع دا خلاص. لا خدع ولا أسرار ولا خطط أصلاً .. أما عن البيه اللي بيشغل عميل سري يروح يعمل كشك سجاير أحسن .. لأن الشغلانة خلاص بح يا معلم، عميل إيه وكل الناس شايفة اللي في دماغه.

سادساً: "الخرس الزوجي" .. ودا هيزيد قوي قوي قوي بقي،
 واحنا الحمد لله الأزواج عندنا ما بيتكلموش مع بعض غير أول سنة
 تقريباً وبعدها كل واحد فيهم بيتكلم بالضالين، وفي تلك الحالة هيبقى
 كل الأسرة شايفين أفكار بعض ودا هيخلي الكلام مالهوش لازمة،
 ومش بس كده، دا كل الكلام الي الأزواج محتفظين بيه جواهرهم
 علشان الحياة تكمل وعلشان خاطر الأولاد وإرضاء الله في الطرف
 الثاني كلها هتكون أفكار عنية وشوف بقي نسب الطلاق هتبقى قد
 إيه (وهي بايظة لوحدها أصلاً).

في النهاية أنا مايرضنيش أزعلك وعندي ليك مفاجأة حلوة ..
 أنت ممكن فعلاً تقرأ الأفكار وبطريقة سهلة وحلوة جداً وما فيهاش
 أي مشكلة ... ازاي؟؟ أقولك.

عارف لما تكون بتحب حد قوي ومهتم بيه، وحسيت إنه نفسه في
 حاجة، ومن غير ما يقول تجيبها له وتقدمها له هدية.

طيب فافكره لما زميلتك كانت قاعدة لوحدها ورحتي طبطبي
 عليها وقولتي لها: "أنا حاسة بيكي" فبكت واطرمت في حضنك، الله الله
 على الفرحة الي كانت في عينيهم وعلى الحب الي اتولد ماينكم لأنكم
 بجد في الحالة دي قريتوا أفكارهم وعرفتوا الي جواهرهم وشاركتوهم
 من غير جرح ولا تدخل في الخصوصيات.

الخلاصة: لو اللسان ما لهوش لازمة ما كانش ربنا خلقه بس الأفكار عادة بتكون متشتتة ومتداخلة واللسان هو اللي ييرتبا ويقول اللي ينفع يتقال ويسكت عن اللي ما ينفعش ودا طبعاً بناء على تدريبك ليه علشان الأفكار الوحشة كتير بس خلي بالك انت مش وحش ولا حاجة، كلنا كدا بتجيلنا نفس الأفكار السيئة دي، بس أنت علشان مؤدب ومحترم وبتخاف ربنا فبتراجع عن الأفكار السيئة وبتستعيز من الشيطان وبتبعد عنها وبتنساها. هو ربنا خلقنا كدا دايمًا بنواجه وساوس وفتن وأنت اللي بتختار، انت ما سمعتش الله سبحانه وتعالى لما قال في سورة الشمس ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝﴾^١ اخذ بالك إن ربنا قال فجورها الأول وبعدين تقواها .. يعني أفكارنا الأولى غالباً بتبقى سيئة من وسوسة الشيطان وحضرتك اللي بتعدلها وبتزكيها وعلشان كدا ربنا مش يحاسبنا على النظرة الأولى مثلاً ويحاسبك على عملك مش على الفكرة اللي جاتك، بس المشكلة إن الناس مش هتشوف غير الظاهر منك وما تعرفش نيتك. وعلشان

كدا أكثر ناس تعبانة وتابعة الناس اللي حوالها هما الناس اللي مش
 بتبص لنفسها ودايمًا مشغولة بالتفتيش في نوايا خلق الله.
 والشخص اللي زي ده أحب أقول له سيبك من التفتيش في
 دماغات الناس وانشغل بنفسك ونظف نيتك ولسوف تستريح
 وهتريحنا كمان.

في النهاية كلامي حابب أقول إن هذا الموضوع بجد عايز تفكير
 مننا ولازم ما نبطلش نحمد ربنا اللي خلّى دماغتنا مقفولة على اللي فيها
 وخلاها ستر لينا وعلينا وإلا كنا هنلاقي كل يوم ألف واحد بيتدخل
 في كل شئون حياتنا وكنا هنفضل طول حياتنا نصرخ في كل واحد
 حوالينا "اطلع من نافوخي".

وآخر كلامي أحب أدعولكم: "اللهم استرنا فوق الأرض وتحت
 الأرض ويوم العرض عليك .. اللهم استرنا يوم تنكشف النوايا
 وتشهد علينا أجسادنا وتعرض كل صغيرة وكبيرة في صحيفة أعمالنا".
 اللهم آمين.

بعد أن انتهيت من قراءة هذا الكتاب

اذكر خمس شخصيات تود أن تقول لكل منهم
"اطلع من نافوخي"

١-

٢-

٣-

٤-

٥-

أحمد الحداد

كاتب وشاعر شاب

صدر له ديوانان مجموعان باسم (صف ثاني - سيجا)



FB/hadad777



m3aakom@gmail.com



AhmedM3aakom



حدادكم دوت كوم



ahmedelhaddad777



ahmed-elhadad-16



الفهرس

- ٣ قبل أن تبدأ في قراءة هذا الكتاب
- ٥ (الفصل الأول) حكايات من الكُشك
- ٧ حمادة بتاع التليفونات
- ١٢ أنا لست "روبوت"
- ٢٥ أنت مش زبالة يا سعيد
- ٣٢ هي بقت كده ؟!
- ٣٦ الزوج يريد إسقاط الفلانتاين
- ٤٠ ملك الغابة
- ٤٧ أراييز للبيع

(الفصل الثاني) ثقافة حصري للشعب المصري ٥٥

الحلم الممنوع ٥٧

إتفرج يا سلام ٦١

حرك شفايفك علشان مش شاييفك ٦٧

ثقافة البوس ٧١

عربي مكسر ٨٣

خليهم .. يمكن نترنق فيهم ٨٦

(الفصل الثالث) كراكيب ٩٣

المرحومة عملتلي لايك ٩٥

حُب أكتوبر ٧٣ ١٠٠

وريني عرض هتافك ١٠٨

خرفان لا تأكل البرسيم ١١٧

- الفتنة دي .. جديدة ١٢٢
- الكلب الي عض النمر ١٢٨
- مقام سيدي أبو تريكة ١٣٠
- على الطاولة ١٣٥
- اطلع من نافوخي ١٣٩
- سماع الأفكار ١٤٠
- قراءة الأفكار ١٤٥
- بعد أن انتهيت من قراءة هذا الكتاب ١٥٥
- أحمد الحداد ١٥٦
- الفهرس ١٥٧

